حسن البيان

في تفسير آي القرآن

سورة الانشقاق

لأبي الطيب محمد بن حسن بن عباس

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين أجمعين

شبكة الألوكة
www.alukah.net

حسن البيان في تفسير آي القرآن

www.alukah.net

سُورَةُ الانشِقَاقِ

بسم الله الرحمن الرحيم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سُورَةُ الانشِقَاقِ

أَسْمَاءُ السُّورَةِ: -

سُمِّيَت فِي زَمَنِ الصَّحَابَةِ: «سُورَة إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّت»، عَن أَبِي سَلَمَةَ: «أَنَّ أَبَا هُرَيرَةَ قَرَأَ بِهِم ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ [الانشِقَاق:١] فَسَجَدَ فِيهَا»، وبِذَلِكَ عَنونَهَا البُخَارِيُّ والتِّرمِذِيُّ، وكَذَلِكَ سَمَّاهَا فِي «الإِتقَانِ».

وسَمَّاهَا المُفَسِّرُونَ وكُتَّابُ المَصَاحِفِ «سُورَة الانشِقَاقِ» بِاعتِبَارِ المَعنَى، كَمَا سُمِّيَتِ السُّورَةُ السَّابِقَةُ «سُورَة التَّطفِيفِ» و«سُورَة انشَقَّت» اختِصَارًا.

ولَم يَذكُرهَا السُّيُوطِيُّ فِي «الإِتقَان» مَعَ السُّورِ ذَوَاتِ أَكثَرَ مِن اسمٍ.(١)

تَرْتِيبُ النُّزُولِ: -

وقَد عُدَّتِ الثَّالِثَةَ والثَّمَانِينَ فِي تَعدَادِ نُزُولِ السُّورِ، نَزَلَت بَعدَ سُورَةِ الانفِطَارِ وقَبلَ سُورَةِ الرُّومِ.(٢)

هَلِ السُّورَةُ مَكِّيَّةٌ أَوْ مَدَنِيَّةٌ؟

نَقَلَ المَاوَردِيُّ وابنُ الجَوزِيِّ وابنُ عَطِيَّةَ والقُرطُبِيُّ والبِقَاعِيُّ والأَلُوسِيُّ

---

(١) «التَّحرِير والتَّنوِير» (٣٠/ ٢١٧).

(٢) «النَّاسِخُ والمَنسُوخُ وتَنزِيلُ القُرآنِ المَنسُوب لِلزُّهرِيِّ» (ص٤٠) «تَفسِيرُ ابنِ جُزَيٍّ = التَّسهِيل لِعُلُومِ التَّنزِيل» (٢/ ٤٦٤) «التَّحرِيرُ والتَّنوِيرُ» (٣٠/ ٢١٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

والطَّاهِرُ بنُ عَاشُورٍ الإجمَاعَ عَلَى أَنَّهَا سُورَةٌ مَكِّيَّةٌ.(١)

أَغرَاضُ السُّورَةِ:

لَو أَردتَ أَن تُعَنوِنَ لِلسُّورَةِ بِكَلِمَةٍ تَصِفُ مَا فِيهَا؛ فَهِيَ سُورَةُ الاستِسلَامِ الكَونِيِّ للهِ.

ابتَدَأَتِ السُّورَةُ بِوصفِ أَشرَاطِ السَّاعَةِ، وحُلُولِ يَومِ البَعثِ، واختِلَافِ أَحوالِ الخَلقِ يَومَئِذٍ بَينَ أَهلِ نَعِيمٍ وأَهلِ شَقَاءٍ.

وهِيَ إِحدَى ثَلَاثِ سُورٍ قَالَ عَنهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَن أَرَادَ أَن يَنظُرَ إِلَى القِيَامَةِ كَأَنَّهَا رَأيُ عَينٍ، فَليَقرَأ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ [الانشِقَاق:١]، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾ [الانفِطَار:١]، و﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾ [التَّكوِير:١]»؛ فَهِيَ تَتَحَدَّثُ عَمَّا يَكُونُ فِي يَومِ القِيَامَةِ مِن أَهوالٍ، وتَغَيُّرِ العَالَمِ العُلوِيِّ، والعَالَمِ السُّفلِيِّ.

تَبدَأُ السُّورَةُ بِبَعضِ مَشَاهِدِ الانقِلَابِ الكَونِيَّةِ الَّتِي عُرِضَت بِتَوسُّعٍ فِي سُورَةِ التَّكوِيرِ، ثُمَّ فِي سُورَةِ الانفِطَارِ، ومِن قَبلُ فِي سُورَةِ النَّبَإِ.

ولَكِنَّهَا هُنَا ذَاتُ طَابَعٍ خَاصٍّ.. طَابَعِ الاستِسلَامِ للهِ.. استِسلَامِ السَّمَاءِ واستِسلَامِ الأَرضِ فِي طَوَاعِيَةٍ وخُشُوعٍ ويُسرٍ.

---

(١) «تَفسِير المَاوردِيِّ = النُّكَت والعُيُون» (٦/ ٢٣٣)، «زَادُ المَسِير فِي عِلمِ التَّفسِير» (٤/ ٤١٩) «تَفسِير ابنِ عَطِيَّةَ» (٥/ ٤٥٦)، «تَفسِير القُرطُبِيِّ» (١٩/ ٢٦٩)، «تَفسِير الأَلُوسِيِّ = رُوح المَعَانِي» (١٥/ ٢٨٦)، «التَّحرِير والتَّنوِير» (٣٠/ ٢١٧)، «مَصَاعِد النَّظَر لِلإِشرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّور» (٣/ ١٧١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

ذَلِكَ المَطلَعُ الخَاشِعُ الجَلِيلُ تَمهِيدٌ لِخِطَابِ الإِنسَانِ، وإِلقَاءِ الخُشُوعِ فِي قَلبِهِ لِرَبِّهِ، وتَذكِيرِهِ بِأَمرِهِ وبِمَصِيرِهِ الَّذِي هُو صَائِرٌ إِلَيهِ عِندَهُ.

حِينَ يَنطَبِعُ فِي حِسِّهِ ظِلُّ الطَّاعَةِ والخُشُوعِ والاستِسلَامِ الَّذِي تُلقِيهِ فِي حِسِّهِ السَّمَاءُ والأَرضُ، فِي المَشهَدِ الهَائِلِ الجَلِيلِ عَرضٌ لِمَشَاهِدَ كَونِيَّةٍ حَاضِرَةٍ، مِمَّا يَقَعُ تَحتَ حِسِّ الإِنسَانِ، لَهَا إِيحَاؤُهَا ولَهَا دِلَالَتُهَا عَلَى التَّدبِيرِ والتَّقدِيرِ، مَعَ التَّلوِيحِ بِالقَسَمِ بِهَا عَلَى أَنَّ النَّاسَ مُتَقَلِّبُونَ فِي أَحوالٍ مُقَدَّرَةٍ مُدَبَّرَةٍ، لَا مَفَرَّ لَهُم مِن رُكُوبِهَا ومُعَانَاتِهَا: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ١٧ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ١٨ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ١٩﴾[الانشِقَاق:١٦-١٩].

ثُمَّ يَجِيءُ المَقطَعُ الأَخِيرُ فِي السُّورَةِ؛ تَعجِيبًا مِن حَالِ النَّاسِ الَّذِينَ لَا يُؤمِنُونَ، وهَذِهِ هِيَ حَقِيقَةُ أَمرِهِم كَمَا عُرِضَت فِي المَقطَعَينِ السَّابِقَينِ.

وتِلكَ هِيَ نِهَايَتُهُم ونِهَايَةُ عَالَمِهِم كَمَا جَاءَ فِي مَطلَعِ السُّورَةِ: ﴿فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ ۩﴾ [الانشِقَاق:١٩-٢٠].

ثُمَّ بَيَانٌ لِعِلمِ اللهِ بِمَا يَضُمُّونَ عَلَيهِ جَوَانِحَهُم، وتَهدِيدٌ لَهُم بِمَصِيرِهِمُ المَحتُومِ: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ٢٢ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ٢٣ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ﴾[الانشِقَاق:٢٢-٢٥].(١)

(١) «نَظمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الآيَاتِ والسُّور» (٢١/ ٣٣٥).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مُنَاسَبَةُ السُّورَةِ لِمَا قَبلَهَا:

* وجهُ تَرتيبِ سُورَةِ الانفِطَارِ والمُطَفِّفِينَ والانشِقَاقِ:

فِي سُورَةِ الانفِطَارِ التَّعرِيفُ بِالحَفَظَةِ الكَاتِبِينَ، وفِي المُطَفِّفِينَ مَقَرُّ كُتُبِهِم، وفِي هَذِهِ عَرضُهَا فِي القِيَامَةِ.(١)

وقَالَ الإِمَامُ أَبُو جَعفَرِ بنُ الزُّبَيرِ: لَمَّا تَقَدَّمَ فِي سُورَةِ الانفِطَارِ التَّعرِيفُ بِالحَفَظَةِ وإِحصَائُهُم عَلَى العِبَادِ فِي كُتُبِهِم، وعَادَ الكَلَامُ إِلَى ذِكرِ مَا يُكتَبُ عَلَى البَرِّ والفَاجِرِ، واستِقرَارُ ذَلِكَ فِي قَولِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ [المُطَفِّفِينَ: ١٨]، وقَولِهِ: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ [المُطَفِّفِينَ: ٧] أَتبَعَ ذَلِكَ بِذِكرِ التَّعرِيفِ بِأَخذِ هَذِهِ الكُتُبِ فِي القِيَامَةِ عِندَ العَرضِ، وأَنَّ أَخذَهَا بِالأَيمَانِ عُنوانُ السَّعَادَةِ، وأَخذَهَا وَرَاءَ الظَّهرِ عُنوانُ الشَّقَاءِ؛ إِذ قَد تَقَدَّمَ فِي السُّورَتَينِ قَبلُ ذِكرُ الكُتُبِ واستِقرَارُهَا بِحَسَبِ اختِلَافِ مُضَمَّنَاتِهَا؛ فَمِنهَا مَا هُوَ فِي عِلِّيِّينَ، ومِنهَا مَا هُوَ فِي سِجِّينٍ إِلَى يَومِ العَرضِ، فَيُؤتَى كُلُّ كِتَابَهُ؛ فَآخِذٌ بِيَمِينِهِ وهُوَ عُنوانُ سَعَادَتِهِ، وآخِذٌ مِن وَرَاءِ ظَهرِهِ وهُوَ عُنوانُ هَلَاكِهِ، فَتَحَصَّلَ الإِخبَارُ بِهَذِهِ الكُتُبِ ابتِدَاءً واستِقرَارًا وتَفرِيقًا يَومَ العَرضِ، وافتُتِحَتِ السُّورَةُ بِذِكرِ انشِقَاقِ السَّمَاءِ، ومَدِّ الأَرضِ، وإِلقَائِهَا مَا فِيهَا وتَخَلِّيهَا؛ تَعرِيفًا بِهَذَا اليَومِ العَظِيمِ بِمَا يَتَذَكَّرُ بِهِ مَن سَبَقَت سَعَادَتُهُ

(١) «تَفسِير الأَلُوسِيِّ = رُوح المَعَانِي» (١٥/ ٢٨٦) «تَفسِير المَرَاغِي» (٣٠/ ٨٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والْمُنَاسَبَةُ بَيِّنَةٌ.[١] انتهى

وقَالَ البِقَاعِيُّ: لَمَّا خُتِمَت سُورَةُ المُطَفِّفِينَ بِبَيَانِ حَالِ الأَبرَارِ وحَالِ الفُجَّارِ، بَيَّنَ ﷻ مَتَى تَحْدُثُ هَذِهِ الأُمُورُ، فَمَقصُودُ هَذِهِ السُّورَةِ الدَّلَالَةُ عَلَى آخِرِ المُطَفِّفِينَ مِن أَنَّ الأَولِيَاءَ يُنَعَّمُونَ، والأَعدَاءَ يُعَذَّبُونَ؛ لِأَنَّهم كَانُوا لَا يُقِرُّونَ بِالبَعثِ ولَا بِالعَرضِ عَلَى المَلِكِ الَّذِي أَوجَدَهُم ورَبَّاهُم، كَمَا يَعرِضُ المُلُوكُ عَبِيدَهُم ويَحكُمُونَ بَينَهُم؛ فَيَنقَسِمُونَ إِلَى أَهلِ ثَوابٍ وأَهلِ عِقَابٍ.[٢]

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشِقَاق:١-٥].

إِذَا أَرَدتَ عُنوانًا لِهَذِهِ الآيَاتِ؛ فَهُو الاستِسلَامُ الكَونِيُّ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، كَمَا فِي قَولِهِ: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ [الانشِقَاق:١]

تَنفَطِرُ السَّمَاءُ، وتَنشَقُّ، وتُفتَحُ يَومَ القِيَامَةِ فَتَكُونُ أَبوابًا، ثُمَّ تُقشَطُ مِن أَصلِهَا؛ كَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾ [الفُرقَان: ٢٥].[٣]

وقِيلَ: تَنشَقُّ لِهَولِ يَومِ القِيَامَةِ؛ لِقَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحَاقَّة: ١٦]، ولَا يُنَافِي أَن يَكُونَ الانشِقَاقُ بِالغَمَامِ.[٤]

(١) «البرُهَان فِي تَنَاسُبِ سُور القُرآن» (ص٣٦٠) «نَظمُ الدُّرَر فِي تَنَاسُبِ الآيَاتِ والسُّور» (٢١/ ٣٣٨)

(٢) «مَصَاعِد النَّظَر لِلإِشرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّور» (٣/ ١٧٢).

(٣) «تَفسِير الزَّمَخشَرِيِّ = الكَشَّاف عَن حَقَائِقِ غَوَامِضِ التَّنزِيل» (٤/ ٧٢٥).

(٤) «تَفسِير الأَلُوسِيِّ = رُوح المَعَانِي» (١٥/ ٢٨٦).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

آيَاتٌ تَحمِلُ نَفسَ المَعنَى:

﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا﴾ [النَّبَأ:١٩]
﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾ [الانفِطَار:١]
﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ﴾ [التَّكوِير: ١١]
﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إِبرَاهِيم:٤٨]

* وجَوابُ القَسَمِ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَوجُهٍ:

* **أَحَدُهَا**: أَنَّهُ مَحذُوفٌ، واختَارَ ذَلِكَ الفَرَّاءُ والطَّبَرِيُّ.

۞ **وقَالَ الفَرَّاءُ والطَّبَرِيُّ**: جَوابُ القَسَمِ كَالمَتْرُوكِ؛ لِأَنَّ المَعنَى مَعرُوفٌ، قَد تَرَدَّدَ فِي القُرآنِ مَعنَاهُ فَعُرِفَ.(١)

ومَعنَى الكَلَامِ: إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّت؛ رَأَى الإِنسَانُ مَا قَدَّمَ مِن خَيرٍ أَو شَرٍّ، وقَد بَيَّنَ ذَلِكَ قَولُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾ [الانشِقَاق: ٦] والآيَاتُ بَعدَهَا.(٢)

* **الثَّانِي**: أَنَّ جَوابَهُ ﴿كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا﴾ [الانشِقَاق: ٦].

۞ **وقَالَ الفَرَّاءُ**: إِن شِئتَ كَانَ جَوابُهُ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ [الانشِقَاق: ٦]؛ كَقَولِ القَائِلِ: إِذَا كَانَ كَذَا وكَذَا فَيَا أَيُّهَا النَّاسُ تَرَونَ مَا عَمِلتُم مِن خَيرٍ أَو شَرٍّ.

(١) «مَعَانِي القُرآنِ لِلفَرَّاء» (٣/ ٢٥٠).

(٢) «تَفسِير الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٢٣٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تَجعَلُ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ [الانشِقَاق: ٦] هُو الجَوابُ، وتُضمِرُ فِيهِ الفَاءُ، وقَد فُسِّرَ جَوابُ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ﴾ [الانشِقَاق:١] -فِيمَا يَلقَى الإِنسَانُ مِن ثَوابٍ وعِقَابٍ- وكَأَنَّ المَعنَى: تَرَى الثَّوابَ والعِقَابَ إِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ.(١)

* **الثَّالِثُ**: مَعنَاهُ: اذكُر إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّت.(٢)

﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ﴾ [الانشِقَاق:٢]

«أَذِنَ» الهَمزَةُ والذَّالُ والنُّونُ أَصلَانِ مُتَقَارِبَانِ فِي المَعنَى، مُتَبَاعِدَانِ فِي اللَّفظِ، أَحَدُهُمَا أُذُنُ كُلِّ ذِي أُذُنٍ، والآخَرُ العِلمُ، وعَنهُمَا يَتَفَرَّعُ البَابُ كُلُّهُ.

تَقُولُ العَرَبُ: «قَد أَذِنتُ بِهَذَا الأَمرِ»، أَي: عَلِمتُ، و«آذَنَنِي فُلَانٌ»: أَعلَمَنِي، والمَصدَرُ: الأَذنُ والإِيذَانُ.(٣)

۞ **وقَالَ الرَّاغِبُ**: أَذِنَ: استَمَعَ.(٤)

۞ **وعَن أَبِي هُرَيرَةَ، يَبلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ**: «مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ يَتَغَنَّى بِالقُرآنِ»(٥) أَي: مَا استَمَعَ اللهُ لِشَيءٍ كَمَا استَمَعَ لِلنَّبِيِّ حِينَ يَتَغَنَّى بِالقُرآنِ؛ أَي: يُرَتِّلُهُ ويَقرَأُهُ.

---

(١) «مَعَانِي القُرآنِ لِلفَرَّاء» (٣/ ٢٥٠).

(٢) «تَفسِير المَاوَردِيِّ = النُّكَت والعُيُون» (٦/ ٢٣٣).

(٣) «مَقَايِيس اللُّغَة» (١/ ٧٧).

(٤) «المُفرَدَات فِي غَرِيبِ القُرآن» (ص٧٠).

(٥) «صَحِيح البُخَارِيِّ» (٥٠٢٤) «صَحِيحُ مُسلِم» (٧٩٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ [الانشِقَاق:٢].

أَي: سَمِعَت أَمرَ رَبِّهَا بِالانشِقَاقِ وأَطَاعَتهُ، مِنَ الأُذُنِ وهُو الاستِمَاعُ.(١)

﴿وَحُقَّتْ﴾ [الانشِقَاق:٢].

وحُقَّ لَهَا أَن تَستَمِعَ، وحُقَّت وأَطَاعَت، وطَاعَتُهَا أَلَّا تَمتَنِعَ مِن شَيءٍ أَرَادَهُ اللهُ مِنهَا، كَمَا قَالَ اللهُ ﷻ عَنِ السَّمَاواتِ والأَرضِ: ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فُصِّلَت:١١] فَالسَّمَاءُ مَخلُوقٌ يَسمَعُ ويُطِيعُ.

وقَولُهُ ﴿وَحُقَّتْ﴾ فِيهِ أَربَعَةُ أَوجُهٍ:

* **أَحَدُهُمَا:** حُقِّقَت لِطَاعَةِ رَبِّهَا. قَالَهُ ابنُ عَبَّاسٍ.(٢)

* **الثَّانِي:** وحُقَّ لَهَا مَعنَاهُ، حُقَّ لَهَا أَن تَفعَلَ ذَلِكَ. قَالَهُ سَعِيدُ بنُ جُبَيرٍ(٣) وقَتَادَةُ.

* **ثَالِثًا:** وحَكَى ابنُ الأَنبَارِيِّ أَنَّ ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ جَوابُ القَسَمِ، والواوُ زَائِدَةٌ.(٤)

* **الرَّابِعُ:** حُقَّ لَهَا أَن تَنشَقَّ؛ لِشِدَّةِ الهَولِ وخَوفِ اللهِ.(٥)

(١) «تَفسِير البَغَوِيّ -طَيبَة» (٨/ ٣٧١).
(٢) «تَفسِير الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٢٣٢).
(٣) «تَفسِير الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٢٣٢).
(٤) «تَفسِير المَاوردِيِّ = النُّكَت والعُيُون» (٦/ ٢٣٤).
(٥) «تَفسِير ابنِ عَطِيَّةَ» (٥/ ٤٥٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ [الانشِقَاق:٣].

أُزِيلَت عَن هَيئَتِهَا وبُدِّلَت.(١)

«مَدَّ»: المِيمُ والدَّالُ أَصلٌ واحِدٌ يَدُلُّ عَلَى جَرِّ شَيءٍ فِي طُولٍ، واتِّصَالِ شَيءٍ بِشَيءٍ فِي استِطَالَةٍ، تَقُولُ: «مَدَدتُ الشَّيءَ أَمُدُّهُ مَدًّا».(٢)

والمَدُّ: مَأخُوذٌ مِن «مَدَّ الشَّيءَ فَامتَدَّ»، ويَشهَدُ لِهَذَا المَعنَى قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾ [طه: ١٠٥] فَيُسَوِّي ظَهرَهَا، كَمَا قَالَ: ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۝١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٦، ١٠٧]

* وقَولُهُ جَلَّ ذِكرُهُ: ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ فِيهَا قَولَانِ:

* أَحَدُهُمَا: أَنَّ البَيتَ كَانَ قَبلَ الأَرضِ بِأَلفَي عَامٍ، فَمُدَّتِ الأَرضُ مِن تَحتِهِ.

۞ عَن عَبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ البَيتُ قَبلَ الأَرضِ بِأَلفَي سَنَةٍ، فَإِذَا الأَرضُ مُدَّت، قَالَ: «مِن تَحتِهِ مَدًّا».(٣)

قَالَ ابنُ كَثِيرٍ: وهَذَا غَرِيبٌ جِدًّا، وكَأَنَّهُ مِنَ الزَّامِلَتَينِ(٤) اللَّتَينِ أَصَابَهُمَا عَبدُ اللهِ بنُ عَمرٍو يَومَ اليَرمُوكِ، وكَانَ فِيهِمَا إِسرَائِيلِيَّاتٌ يُحَدِّثُ

(١) «مَعَانِي القُرآنِ وإِعرَابُهُ لِلزَّجَّاج» (٥/ ٣٠٣).

(٢) «مَقَايِيسُ اللُّغَة» (٥/ ٢٦٩).

(٣) قَالَ الحَاكِمُ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسنَادِ ولَم يُخَرِّجَاهُ، وصَحَّحَهُ الذَّهَبِيُّ «المُستَدرَك عَلَى الصَّحِيحَين لِلحَاكِم» (٣٩١١).

(٤) الزَّامِلَة: حَمْلُ البَعِيرِ الكَبِير «تَكمِلَةُ المَعَاجِمِ العَرَبِيَّة» (٥/ ٣٦٠).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مِنهُمَا، وفِيهِمَا مُنكَرَاتٌ وغَرَائِبُ.(١)

* **الثَّانِي**: أَنَّهَا أَرضُ القِيَامَةِ. قَالَهُ مُجَاهِدٌ(٢) فَيُزَادُ فِي سَعَتِهَا يَومَ القِيَامَةِ؛ لِوُقُوفِ الخَلَائِقِ عَلَيهَا لِلحِسَابِ؛ لِأَنَّ خَلقَ الأَولِينَ والآخَرِينَ لَمَّا كَانُوا واقِفِينَ يَومَ القِيَامَةِ عَلَى ظَهرِهَا، فَلَا بُدَّ مِنَ الزِّيَادَةِ فِي طُولِهَا وعَرضِهَا.(٣) وهُو أَشبَهُ بِسِيَاقِ الكَلَامِ.

۞ **وقَالَ الفَرَّاءُ**: بُسِطَت ومُدِّدَت كَمَا يُمَدَّدُ الأَدِيمُ العُكَاظِيُّ.(٤)

لِأَنَّ الأَدِيمَ إِذَا مُدَّ؛ زَالَ كُلُّ انثِنَاءٍ فِيهِ واستَوى.(٥)

۞ **وقَالَ ابنُ عَطِيَّةَ**: «مَدُّ الأَرضِ»: هُو إِزَالَةُ جِبَالِهَا حَتَّى لَا يَبقَى فِيهَا عِوجٌ ولَا أَمتٌ، فَذَلِكَ مَدُّهَا.(٦)

فَيَمُدُّهَا اللهُ تَعَالَى مَدَّ الأَدِيمِ، حَتَّى تَصِيرَ واسِعَةً جِدًّا، تَسَعُ أَهلَ المَوقِفِ عَلَى كَثرَتِهِم، فَتَصِيرَ قَاعًا صَفصَفًا لَا تَرَى فِيهَا عِوجًا ولَا أَمتًا.(٧)

---

(١) «البِدَايَة والنِّهَايَة ط هَجَر» (٣/ ٤٧٦).

(٢) انظُر: «تَفسِير الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٢٣٣).

(٣) «تَفسِير الرَّازِيِّ» (٣١/ ٩٧).

(٤) «مَعَانِي القُرآنِ لِلفَرَّاء» (٣/ ٢٥٠) أَدِيمٌ عُكَاظِيٌّ مَنسُوبٌ إِلَى عُكَاظ، وهُو مِمَّا حُمِلَ إِلَى عُكَاظ فَبِيعَ بِهَا.

(٥) «تَفسِير المَاوَردِيِّ = النُّكَت والعُيُون» (٦/ ٢٣٤).

(٦) «تَفسِير ابنِ عَطِيَّةَ» (٥/ ٤٥٦).

(٧) «تَفسِير السَّعدِيِّ» (ص٩١٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ [الانشِقَاق:٤].

يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: وأَلقَتِ الأَرضُ مَا فِي بَطنِهَا مِنَ المَوتَى إِلَى ظَهرِهَا وتَخَلَّت مِنهُم إِلَى اللهِ.(١)

* وقَولُهُ جَلَّ ذِكرُهُ: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَوجُهٍ:

* أَحَدُهُمَا: أَلقَت مَا فِي بَطنِهَا مِنَ المَوتَى، وتَخَلَّت عَمَّن عَلَى ظَهرِهَا مِنَ الأَحيَاءِ. قَالَهُ ابنُ عَبَّاسٍ، ومُجَاهِدٌ، وسَعِيدُ بنُ جُبَيرٍ، والجُمهُورُ.(٢)

۞ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، فِي قَولِهِ عز وجل: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ قَالَ: سَمِعتُ ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ قَالَ: «يَومَ القِيَامَةِ» ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ قَالَ: «أَخرَجَت مَا فِيهَا مِنَ المَوتَى».(٣)

۞ قَالَ الزَّمَخشَرِيُّ: خَلَت عَمَّا كَانَ فِيهَا، أَي: لَم تَتَمَسَّك مِنهُم بِشَيءٍ، وتَخَلَّت وخَلَت غَايَةَ الخُلُوِّ حَتَّى لَم يَبقَ شَيءٌ فِي بَاطِنِهَا، كَأَنَّهَا تَكَلَّفَت أَقصَى جَهدِهَا فِي الخُلُوِّ، كَمَا يُقَالُ: «تَكَرَّمَ الكَرِيمُ» و«تَرَحَّمَ الرَّحِيمُ» إِذَا بَلَغَا جُهدَهُمَا فِي الكَرَمِ والرَّحمَةِ، وتَكَلَّفَا فَوقَ مَا فِي طَبعِهِمَا.

(١) «تَفسِير الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٢٣٣).

(٢) «تَفسِير ابنِ عَطِيَّةَ» (٥/ ٤٥٦) «مَفَاتِيحُ الغَيبِ» (٣١/ ٩٧).

(٣) «المُستَدرَك عَلَى الصَّحِيحَين لِلحَاكِم» (٣٩١٠) وقَالَ الحَاكِمُ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرطِ الشَّيخَينِ ولَم يُخَرِّجَاهُ، ووافَقَهُ الذَّهَبِيُّ.
وذَكَرَهُ البُخَارِيُّ تَعلِيقًا «صَحِيح البُخَارِيِّ» (٤/ ١٠٦).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأَذِنَت لِرَبِّها فِي إِلقَاءِ مَا فِي بَطنِهَا وتَخَلِّيهَا.(١)

* آيَاتٌ أُخرَى تَحمِلُ نَفسَ المَعنَى:

قَالَ جَلَّ ذِكرُهُ: ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ [الانفِطَار: ٤]
قَالَ ﷻ: ﴿بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [العَادِيَات: ٩]
قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ۝٢٥ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ [المُرسَلَات: ٢٥، ٢٦]

* الوجهُ الثَّانِي: أَلقَت مَا فِي بَطنِهَا مِن كُنُوزِهَا ومَعَادِنِهَا وتَخَلَّت مِمَّا عَلَى ظَهرِهَا مِن جِبَالِهَا وبِحَارِهَا، وهُو مَعنَى قَولِ قَتَادَةَ.(٢)

وعَلَى هَذَا الوجهِ يَكُونُ مَعنَى هَذِهِ الآيَةِ؛ كَقَولِ رَبِّنَا: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ تُخرِجُ الكُنُوزَ الَّتِي فِيهَا، كُنُوزَ الذَّهَبِ والفِضَّةِ، ومَا فِيهَا مِنَ الجَوَاهِرِ، إِلَى آخِرِهِ، تُلقِيهِ فَتَطرَحُهُ عَلَى ظَهرِهَا، فَيَقُولُ الإِنسَانُ: فِي هَذَا قَتَلتُ فُلَانًا، وفِي مِثلِ هَذَا قَطَعتُ رَحِمِي، ثُمَّ يَترُكُونَهَا ويَمضُونَ.

ومَعنَى هَذِهِ الآيَةِ قَرِيبٌ مِن قَولِ رَبِّنَا: ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ [التَّكوِير: ٤]

۞ وقَالَ ابنُ عَطِيَّةَ: وهَذَا ضَعِيفٌ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ -يَقصِدُ إِخرَاجَ الكُنُوزِ- يَكُونُ وقتَ خُرُوجِ الدَّجَّالِ، وإِنَّمَا تُلقِي يَومَ القِيَامَةِ المَوتَى.

* الوجهُ الثَّالِثُ -وهُو أَعَمُّ-: أَنَّهَا أَلقَت مَا استُودِعَت، وتَخَلَّت مِمَّا استُحفِظَت؛ لِأَنَّ اللهَ استَودَعَهَا عِبَادَهُ أَحيَاءً وأَمواتًا، واستَحفَظَهَا بِلَادَهُ

(١) «تَفسِير الزَّمخشَرِيِّ» (٤/ ٧٢٦) «مَدَارِك التَّنزِيلِ وحَقَائِقُ التَّأوِيلِ» (٣/ ٦١٩).

(٢) «تَفسِير الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٢٣٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مَـزَارِعَ وأَقواتًـا.(١)

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشِقَاق:٥]

واسـتَمَعَت لِرَبِّهـا وأَطَاعَـت، وسَـمِعَتِ الأَرضُ -فِي إِلقَائِهَـا مَـا فِي بَطنِهَـا مِـنَ المَوتَـى إِلَى ظَهرِهَـا أَحيَـاءً- أَمـرَ رَبِّهَـا وأَطَاعَـت.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾ [الانشِقَاق:٦]

قَولُـهُ تَعَـالَى ذِكـرُهُ: يَـا أَيُّهَـا الإِنسَـانُ إِنَّـكَ عَامِـلٌ إِلَى رَبِّـكَ عَمَـلًا فَمُلَاقِيـهِ بِـهِ، خَـيرًا كَانَ عَمَلُـكَ ذَلِـكَ أَو شَرًّا؛ يَقُـولُ: فَلْيَكُـن عَمَلُـكَ مِمَّـا يُنجِيَـكَ مِـن سَـخَطِهِ، ويُوجِـبُ لَـكَ رِضَـاهُ، ولَا يَكُـن مِمَّـا يُسـخِطُهُ عَلَيـكَ فَتَهلِـكَ.(٢)

۞ **وقَـالَ ابـنُ عَطِيَّـةَ**: والمَعنَـى: أَنَّـكَ عَامِـلٌ خَـيرًا أَو شَرًّا، وأَنـتَ لَا مَحَالَـةَ فِي ذَلِـكَ سَـائِرٌ إِلَى رَبِّـكَ؛ لِأَنَّ الزَّمَـنَ يَطِـيرُ بِعُمُـرِ الإِنسَـانِ؛ فَإِنَّـمَا هُـو مُـدَّةُ عُمُـرِهِ فِي سَـيرٍ حَثِيـثٍ إِلَى رَبِّـه، وهَـذِهِ آيَـةُ وعـظٍ وتَذكِـيرٍ، أَي: فَكِّـر عَـلَى حَـذَرٍ مِـن هَـذِهِ الحَـالِ، واعمَـل عَمَـلًا صَالِحًـا تَجِـدهُ.(٣)

والمُرَادُ بِالإِنسَانِ فِي هَذِهِ الآيَةِ العُمُومُ بِالإِجمَاعِ.(٤)

---

(١) «تَفسِير المَاوردِيِّ = النُّكَت والعُيُون» (٦/ ٢٣٥).

(٢) «تَفسِير الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٢٣٥).

(٣) «تَفسِير ابنِ عَطِيَّةَ» (٥/ ٤٥٧).

(٤) تَفسِيرُ أَطفَيِّش، نَقلاً عَن مَوسُوعَةِ الإِجمَاعِ فِي التَّفسِيرِ ص ٦١٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

۞ وقَالَ البَغَوِيُّ: مَعنَى الآيَةِ: إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّت؛ لَقِيَ كُلُّ كَادِحٍ مَا عَمِلَهُ.(١)

* مَعنَى الكَدحِ:

«كَدَحَ»: الكَافُ والدَّالُ والحَاءُ أَصلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى تَأثِيرٍ فِي شَيءٍ.

ومِن هَذَا القِيَاسِ: كَدَحَ إِذَا كَسَبَ، يَكدَحُ كَدحًا فَهُو كَادِحٌ.

۞ قَالَ اللهُ عَزَّ وعَلَا: ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ﴾[الانشِقَاق:٦]، أَي: كَاسِبٌ.(٢)

والكَدحُ فِي كَلَامِ العَرَبِ: العَمَلُ والكَسبُ.(٣)

الكَدحُ: جُهدُ النَّفسِ فِي العَمَلِ والكَدُّ فِيهِ حَتَّى يُؤَثِّرَ فِيهَا، مِن: «كَدَحَ جِلدَهُ»، إِذَا خَدَشَهُ.(٤)

و«الكَادِحُ»: العَامِلُ بِشِدَّةٍ وسُرعَةٍ واجتِهَادٍ مُؤَثِّرٍ، ومِنهُ مَا جَاءَ عَن عَبدِ اللهِ ابنِ مَسعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَن سَأَلَ النَّاسَ ولَهُ مَا يُغنِيهِ، جَاءَ يَومَ القِيَامَةِ ومَسأَلَتُهُ فِي وجهِهِ خُمُوشٌ، أَو خُدُوشٌ، أَو كُدُوحٌ».(٥)

---

(١) «تَفسِير البَغَوِيّ -طَيبَة» (٨/ ٣٧١).

(٢) «مَقَايِيس اللُّغَة» (٥/ ١٦٧).

(٣) «تَفسِير القُرطُبِيِّ» (١٩/ ٢٧١).

(٤) «تَفسِير الزَّمخَشَرِيِّ = الكَشَّاف عَن حَقَائِقِ غَوامِضِ التَّنزِيل» (٤/ ٧٢٦).

(٥) «سُنَنُ الترِّمذِيِّ ت بَشَّار» (٦٥٠) وحَسَّنَهُ الترِّمذِيُّ، وانظُر: «الجَامِع لِعُلُومِ الإِمَامِ أَحمَدَ -عِلَل الحَدِيثِ» (١٤/ ٣٩٠).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

وقَولُهُ جَلَّ ذِكرُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾[الانشِقَاق:٦] فِيهِ قَولَانِ:

* **أَحَدُهُمَا**: إِنَّكَ سَاعٍ إِلَى رَبِّكَ سَعيًا حَتَّى تُلَاقِيَ رَبَّكَ. قَالَهُ يَحيَى ابنُ سَلَّامٍ، ومِنهُ قَولُ الشَّاعِرِ:

ومَضَت بَشَاشَةُ كُلِّ عَيشٍ صَالِحٍ وبَقِيتُ أَكدَحُ لِلحَياةِ وأَنصَبُ

أَي: أَعمَلُ لِلحَيَاةِ.

* **ويحتَمِلُ قَولًا ثَانِيًا**: أَنَّ الكَادِحَ هُوَ الَّذِي يُكدِحُ نَفسَهُ فِي الطَّلَبِ إِن تَيَسَّرَ أَو تَعَسَّرَ.(١)

وجَائِزٌ أَن يَكُونَ مَعنَاهُ: أَنِ اجعَل كَدحَكَ إِلَى رَبِّكَ فِي أَن تَسعَى فِي طَاعَتِهِ وطَلَبِ مَرضَاتِهِ؛ فَإِنَّكَ مُلَاقِيهِ لَا مَحَالَةَ؛ أَي: تُلَاقِي جَزَاءَ عَمَلِكَ: إِن خَيرًا فَخَيرٌ، وإِن شَرًّا فَشَرٌّ.(٢)

الكَادِحُ: هُوَ السَّاعِي، وهَذَا فِي كُلِّ إِنسَانٍ، تَرَاهُ أَبَدًا سَاعِيًا إِمَّا فِي عَمَلِ الخَيرِ، أَو عَمَلِ الشَّرِّ، أَو فِيمَا يَنفَعُهُ أَو فِيمَا يَضُرُّهُ، حَتَّى لَو هَمَّ بِتَركِ السَّعيِ لَم يَقدِر؛ لِأَنَّ تَركَهُ السَّعيَ نَوعٌ مِنَ السَّعيِ.(٣)

---

(١) «تَفسِير المَاوردِيِّ = النُّكَت والعُيُون» (٦/ ٢٣٥).

(٢) الأَولَى أَن يُقَالَ: وإِن شَرًّا فَأَمرُهُ إِلَى اللهِ.

(٣) «تَفسِير المَاتُرِيدِيِّ = تَأوِيلَات أَهلِ السُّنَّة» (١٠/ ٤٧١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

«فَيَا أَيُّهَا الإِنسَانُ» الَّذِي خَلَقَهُ رَبُّهُ بِإِحسَانٍ، والَّذِي مَيَّزَهُ بِهَذِهِ «الإِنسَانِيَّةِ» الَّتِي تُفرِدُهُ فِي هَذَا الكَونِ بِخَصَائِصَ كَانَ مِن شَأنِهَا أَن يَكُونَ أَعرَفَ بِرَبِّهِ، وأَطوعَ لِأَمرِهِ مِنَ الأَرضِ والسَّمَاءِ.

وقَد نَفَخَ فِيهِ مِن رُوحِهِ، وأَودَعَهُ القُدرَةَ عَلَى تَلَقِّي قَبَسٍ مِن نُورِهِ، والتَّطَهُّرَ بِهَا أَو الارتِفَاعَ إِلَى غَيرِ حَدٍّ، حَتَّى يَبلُغَ الكَمَالَ المُقَدَّرَ لِجِنسِهِ، وآفَاقُ هَذَا الكَمَالِ عَالِيَةٌ بَعِيدَةٌ!

يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ.. إِنَّكَ تَقطَعُ رِحلَةَ حَيَاتِكَ عَلَى الأَرضِ كَادِحًا، تَحمِلُ عِبئَكَ، وتَجهَدُ جَهدَكَ، وتَشُقُّ طَرِيقَكَ؛ لِتَصِلَ فِي النِّهَايَةِ إِلَى رَبِّكَ؛ فَإِلَيهِ المَرجِعُ وإِلَيهِ المَآبُ بَعدَ الكَدِّ والكَدحِ والجِهَادِ.

يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ.. إِنَّكَ كَادِحٌ حَتَّى فِي مَتَاعِكَ.. فَأَنتَ لَا تَبلُغُهُ فِي هَذِهِ الأَرضِ إِلَّا بِجُهدٍ وكَدٍّ.

إِن لَّم يَكُن جُهدَ بَدَنٍ وكَدَّ عَمَلٍ، فَهُو جُهدُ تَفكِيرٍ وكَدُّ مَشَاعِرَ.

الوَاجِدُ والمَحرُومُ سَواءٌ.. إِنَّمَا يَختَلِفُ نَوعُ الكَدحِ ولَونُ العَنَاءِ.

وحَقِيقَةُ الكَدحِ هِيَ المُستَقِرَّةُ فِي حَيَاةِ الإِنسَانِ، ثُمَّ النِّهَايَةُ فِي آخِرِ المَطَافِ إِلَى اللهِ سَواءٌ.

يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ.. إِنَّكَ لَا تَجِدُ الرَّاحَةَ فِي الأَرضِ أَبَدًا.. إِنَّمَا الرَّاحَةُ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

هُنَاكَ.. لِمَن يُقَدِّمُ لَهَا بِالطَّاعَةِ والاستِسلَامِ.

﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾ [الانشِقَاق:٦]

أَي: فَمُلَاقٍ رَبَّكَ، ومَعنَاهُ: فَيُجَازِيكَ بِعَمَلِكَ ويُكَافِئُكَ عَلَى سَعيِكَ.

وعَلَى هَذَا فَكِلَا القَولَينِ مُتَلَازِمٌ؛[٢] كَقَولِهِ جَلَّ ذِكرُهُ: ﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾، [إبراهيم:١٢]، وقَولِهِ: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ﴾ [البقرة:٢٢٤]، وعَن عَدِيِّ بنِ حَاتِمٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا مِنكُم مِن أَحَدٍ إِلَّا وسَيُكَلِّمُهُ اللهُ يَومَ القِيَامَةِ، لَيسَ بَينَ اللهِ وبَينَهُ تُرجُمَانٌ، ثُمَّ يَنظُرُ فَلَا يَرَى شَيئًا قُدَّامَهُ، ثُمَّ يَنظُرُ بَينَ يَدَيهِ فَتَستَقبِلُهُ النَّارُ، فَمَنِ استَطَاعَ مِنكُم أَن يَتَّقِيَ النَّارَ ولَو بِشِقِّ تَمرَةٍ.[٣]

* آيَاتٌ فِي مُلَاقَاةِ الجَزَاءِ:

قَالَ جَلَّ ذِكرُهُ: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفِطَار: ٥]
قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ [التَّكوِير: ١٤]
قَالَ سُبحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القِيَامَة: ١٣]

۞ وعَن سَهلِ بنِ سَعدٍ، قَالَ: جَاءَ جِبرِيلُ عليه السلام إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ، عِش مَا شِئتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وأَحبِب مَن أَحبَبتَ فَإِنَّكَ مَفَارِقُهُ،

(٢) «تَفسِير ابنِ كَثِير ت سَلَامَة» (٨/ ٣٥٦).

(٣) «صَحِيح البُخَارِيِّ» (٦٥٣٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

واعمَـل مَـا شِـئتَ فَإِنَّـكَ مَجـزِيٌّ بِـهِ» ثُـمَّ قَـالَ: «يَـا مُحَمَّـدُ، شَرَفُ المُؤمِـنِ قِيَـامُ اللَّيـلِ وعِـزُّهُ استِغنَاؤُهُ عَـنِ النَّـاسِ».[١]،[٢]

والإِنسَـانُ لَا يَنفَـكُّ فِي هَـذِهِ الحَيَـاةِ الدُّنيَوِيَّـةِ مِـن أَولِهَـا إِلَى آخِرِهَـا عَـنِ الكَـدحِ والمَشَـقَّةِ والتَّعَـبِ، ولَمَّـا كَانَـت كَلِمَـةُ «إِلَى» لانتِهَـاءِ الغَايَـةِ، فَهِـيَ تَـدُلُّ عَـلَى وُجُـوبِ انتِهَـاءِ الكَـدحِ والمَشَـقَّةِ بِانتِهَـاءِ هَـذِهِ الحَيَـاةِ، وأَن يَكُـونَ الحَاصِـلُ بَعـدَ هَـذِهِ الدُّنيَـا مَحـضَ السَّـعَادَةِ والرَّحمَـةِ، وذَلِـكَ مَعقُـولٌ، فَـإِنَّ نِسـبَةَ الآخِـرَةِ إِلَى الدُّنيَـا كَنِسـبَةِ الدُّنيَـا إِلَى رَحِـمِ الأُمِّ، فَكَـمَا صَـحَّ أَن يُقَـالَ: يَـا أَيُّهَـا الـجَنِينُ إِنَّـكَ كَادِحٌ إِلَى أَن تَنفَصِـلَ مِـنَ الرَّحِـمِ، فَكَانَ مَـا بَعـدَ الِانفِصَـالِ عَـنِ الرَّحِـمِ بِالنِّسـبَةِ إِلَى مَـا قَبلَـهُ خَالِصًـا عَـنِ الكَـدحِ والظُّلمَـةِ، فَنَرجُـو مِـن فَضلِ اللـهِ أَن يَكُـونَ الحَـالُ فِيـمَا بَعـدَ المَـوتِ كَذَلِـكَ.[٣]

ولَمَّـا كَانَ مِـنَ المَعلُـومِ أَنَّ عَبِيـدَ المَلِـكِ إِذَا عُرِضُـوا عَلَيـهِ، كَانَ فِيهِـمُ المَقبُـولُ والمَـردُودُ؛ بِسَـبَبِ أَنَّ كَدحَهُـم تَـارَةً يَكُـونُ حَسَـنًا، وتَـارَةً يَكُـونُ سَـيِّئًا، قَـالَ مُعَرِّفًـا أَنَّ الأَمـرَ فِي لِقَائِـهِ كَذَلِـكَ عَـلَى مَـا نَعهَـدُ، فَمَـن كَانَ مَقبُـولًا أُعطِـيَ

(١) «المُستَدرَك عَلَى الصَّحِيحَينِ لِلحَاكِم» (٧٩٢١) وقَالَ الحَاكِمُ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسنَادِ ولَم يُخَرِّجَاهُ، ووافَقَهُ الذَّهَبِيُّ فِي التَّلخِيصِ. وحسَّنَهُ العِراقيُّ.

(٢) قَالَ أَبُو نُعَيمٍ فِي الحِليَةِ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِن حَدِيثِ مُحَمَّدِ بنِ عُيَينَةَ، تَفَرَّدَ بِهِ زَافِرُ بنُ سُلَيمَانَ، وعَنهُ مُحَمَّدُ بنُ حُمَيدٍ. وقَالَ ابنُ الجَوزِيِّ: هَذَا حَدِيثٌ لَا يَصِحُّ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ.
وذَكَرَهُ المُنذِرِيُّ فِي التَّرغِيبِ، ثُمَّ قَالَ: رَواهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الأَوسَطِ بِإِسنَادٍ حَسَنٍ. «كَشف الخَفَاء ت هِنداوِي» (٢/ ٧٠).

(٣) «تَفسِير الرَّازِيِّ» (٣١/ ٩٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

كِتَابُ حَسَنَاتِهِ بِيَمِينِهِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ فِي الدُّنيَا مِن أَهلِ اليَمِينِ أَيِ الدِّينِ المَرضِيِّ، ومَن كَانَ مَردُودًا أُعطِيَ كَتابَهُ بِشِمَالِهِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ فِي الدُّنيَا مَعَ أَهلِ الشِّمَالِ وهُو الدِّينُ البَاطِلُ الَّذِي يَعمَلُ مِن غَيرِ إِذنِ المَالِكِ، فَكَأَنَّهُ يَفعَلُ مِن ورَائِهِ، فَتَرجَمَ هَذَا الغَرَضَ بِقَولِهِ سُبحَانَهُ وتَعَالَى مُفَصِّلًا لِلإِنسَانِ المُرَاد بِهِ الجِنسُ، جَامِعًا لِلضَّمِيرِ بَعدَ أَن أَفرَدَهُ تَنصِيصًا عَلَى حَشرِ كُلِّ فَردٍ.(١)

ثُمَّ ذَكَرَ اللهُ -جَلَّ ذِكرُهُ- نَتِيجَةَ الكَدحِ فَقَالَ:

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشِقَاق:٧-٨].

وكِتَابُهُ هُو دِيوانُ أَعمَالِهِ، وصَحِيفَةُ حِسَابِهِ الَّتِي كَتَبَتهَا المَلَائِكَةُ وهُو لَا يَدرِي ولَا يَشعُرُ.(٢)

۞ قَالَ قَتَادَةُ رَحِمَهُ اللهُ: إِنَّ كَدحَكَ يَا ابنَ آدَمَ لَضَعِيفٌ، فَمَنِ استَطَاعَ أَن يَكُونَ كَدحُهُ فِي طَاعَةِ اللهِ فَليَفعَل، ولَا قُوةَ إِلَّا بِاللهِ.(٣)

وذَكَرَ اللهُ عَلَامَةَ تَكرِيمِ أَهلِ الإِيمَانِ أَنَّهُم أُعطُوا كِتَابَهُم بِيَمِينِهِم، وفِي هَذَا عَلَامَةٌ عَلَى شَرَفِ اليَمِينِ، واستِحبَابِ استِعمَالِهَا عِندَ مَا يَكرُمُ ويَشرُفُ، وفِي نَظِيرِ هَذِهِ الآيَةِ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [الإِسرَاء: ٧١].

(١) «نَظمُ الدُّرَر فِي تَنَاسُبِ الآيَاتِ والسُّور» (٢١/ ٣٤٠).

(٢) انظُر: «نَظمُ الدُّرَر فِي تَنَاسُبِ الآيَاتِ والسُّور» (٢١/ ٣٤٠).

(٣) «تَفسِير الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٢٣٥).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

وهَـذَا المَعنَـى فِي الآيَـةِ ظَاهِرٌ فِي قَولِـهِ تَعَـالَى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طـه: ١٧] فَقَـد كَانَ يُمسِـكُ عَصًـا بِيَمِينِـهِ، وفِي قَولِـهِ تَعَـالَى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العَنكَبُـوت: ٤٨]، فَجَعَـلَ الخَـطَّ والكِتَابَـةَ بِاليَمِـينِ؛ وهَـذَا هُـو الأَقـرَبُ إِلَى الفِطـرَةِ، وهُـو السُّـنَّةُ؛ لِأَنَّ الكِتَابَـةَ شَرِيفَـةٌ.

وأَمَّـا النَّجَاسَـاتُ والقَـذَارَةُ والأَذَى، فَتُسـتَعمَلُ فِيهَـا الشِّـمَالُ، ويُكـرَهُ اسـتِعمَالُ اليَمِـينِ فِيهَـا؛ لِقَـولِ عَائِشَـةَ [(١)] عَـنِ النَّبِـيِّ ﷺ: «وكَانَـتِ اليُسـرَى لِخَلَائِـهِ، ومَـا كَانَ مِـن أَذًى». [(٢)]

﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشِقَاق:٨].

قَاعِدَةٌ فِي التَّفسِيرِ:

«سَـوفَ» و«عَسَـى» مِـنَ اللـهِ تَعَـالَى واجِـبٌ؛ كَقَـولِ القَائِـلِ: «اتَّبِعنِـي، فَسَـوفَ تَجِـدُ خَـيرًا»؛ فَإِنَّـهُ لَا يُرِيـدُ الشَّـكَّ، وإِنَّـمَا يُرِيـدُ تَحقِيـقَ الـكَلَامِ. [(٣)]

عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «عَسَى» مِنَ اللـهِ واجِبٌ. [(٤)]

(١) «مُسنَد أَحمَد» (٢٦٢٨٣).

(٢) «التَّفسِير والبَيَان لِأَحكَامِ القُرآن» (٤/ ٢٢١٠).

(٣) انظُر: «تَفسِير مُقَاتِلِ بنِ سُلَيمَان» (١/ ٤٠٢)، «العَين» (٢/ ٢٠٠)، «مَعَانِي القُرآنِ لِلفَرَّاء» (١/ ٤٥١)، «تَفسِير المَاتُرِيدِيِّ = تَأوِيلَات أَهلِ السُّنَّةِ» (١٠/ ٥٥٥)، «تَفسِير الرَّازِيِّ» (٣١/ ٩٨) «تَفسِير الخَازِن لِبَابِ التَّأوِيلِ فِي مَعَانِي التَّنزِيل» (٤/ ٤٠٨)، «اللُّبَاب فِي عُلُومِ الكِتَاب» (٢٠/ ٢٣٢).

(٤) «تَفسِير ابنِ أَبِي حَاتِم» (٣/ ٩٠٥).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

قَالَ ابنُ زَيدٍ، «عَسَى» مِنَ اللهِ واجِبٌ ﴿فَعَسَى أُولَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهتَدِينَ﴾: فَعَسَى أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُفلِحِينَ.(١)

۞ وقَالَ الزَّجَّاجُ: «عَسَى» تَرَجٍّ، ومَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُرجَى مِن رَحمَتِهِ فَبِمَنزِلَةِ الواقِعِ كَذَلِكَ الظَّنُّ بِأَرحَمِ الرَّاحِمِينَ.(٢)

۞ وقَالَ ابنُ كَيسَانَ: «عَسَى» مِنَ اللهِ واجِبٌ، ومِنَ العِبَادِ ظَنٌّ؛ لِأَنَّ العَبدَ لَيسَ لَهُ فِيمَا يَستَقبِلُ عِلمٌ نَافِذٌ إِلَّا بِدَلَائِلِ مَا شَاهَدَ، وقَد يَجُوزُ أَن تَبطُلَ الشَّوَاهِدُ لَهُ عَلَى مَا لَم يَكُن فَلَا يَكُونُ مَا يُظَنُّ، وقَدِ اجتَهَدَ فِي «عَسَى» بِأَغلَبِ الظَّنِّ عَلَيهِ وهُو مُنتَهَى عِلمِهِ فِيمَا لَم يَقَع، واللهُ تَعَالَى عِلمُهُ بِمَا لَم يَكُن كَعِلمِهِ بِمَا كَانَ، فَلَا يَكُونُ فِي خَبَرِهِ «عَسَى» إِلَّا عَلَى عِلمِهِ؛ فَهِيَ واجِبَةٌ مِن قِبَلِهِ عَلَى هَذَا.(٣)

۞ وقَالَ السَّمعَانِيُّ: و«عَسَى» مِنَ اللهِ واجِبٌ؛ لِأَنَّهُ لِلإِطمَاعِ، واللهُ تَعَالَى إِذَا أَطمَعَ عَبدًا أَوجَبَ لَهُ وأَوصَلَهُ إِلَيهِ.(٤)

۞ وإِن قَالَ قَائِلٌ: فَلِمَاذَا لَم يَقُلِ اللهُ: «فَسَوفَ»، أَو يَأتِي بِكَلِمَةٍ جَازِمَةٍ لَا احتِمَالَ فِيهَا؟

---

(١) «تَفسِير الطَّبَرِيِّ» (٢٣/ ٢٣٢).

(٢) «مَعَانِي القُرآنِ وإِعرَابُهُ لِلزَّجَّاج» (٢/ ٩٥).

(٣) «تهَذِيب اللُّغَة» (٣/ ٥٥).

(٤) «تفَسِير السَّمعَانِيِّ» (١/ ٤٧٠).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

۞ قَالَ الرَّاغِبُ: ذَكَرَ لَفظَ «عَسَى»؛ لِئَلَّا يَركَنُوا كُلَّ الرُّكُونِ، ولِيَكُونُوا مِمَّن قَالَ فِيهِم: ﴿ويَرجُونَ رَحمَتَهُ ويَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾.(١)

مَا هُو الحِسَابُ اليَسِيرُ؟

تُعرَضُ عَلَيهِ حَسَنَاتُهُ وسَيِّئَاتُهُ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: سَيِّئَاتُكَ قَد غُفِرَت، وتُجَازَى بِحَسَنَاتِكَ.

۞ عَن عَائِشَةَ ﵂ قَالَت: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَيسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ إِلَّا هَلَكَ» قَالَت: قُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، أَلَيسَ يَقُولُ اللهُ ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨] قَالَ: «ذَاكَ العَرضُ، يُعرَضُونَ، ومَن نُوقِشَ الحِسَابَ هَلَكَ».(٢)

وجهُ مُعَارَضَةِ عَائِشَةَ أَنَّ لَفظَ الحَدِيثِ عَامٌّ فِي تَعذِيبِ كُلِّ مَن حُوسِبَ، ولَفظُ الآيَةِ دَالٌّ عَلَى أَنَّ بَعضَهُم لَا يُعَذَّبُ، وطَرِيقُ الجَمعِ أَنَّ المُرَادَ بِالحِسَابِ فِي الآيَةِ العَرضُ، وهُو إِبرَازُ الأَعمَالِ وإِظهَارُهَا، فَيُعَرِّفُ صَاحِبَهَا بِذُنُوبِهِ ثُمَّ يَتَجَاوزُ عَنهُ.(٣)

۞ وعَنِ ابنِ عُمَرَ: سَمِعتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي النَّجوى يَقُولُ: «يُدنَى المُؤمِنُ مِن رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ عَلَيهِ كَنَفَهُ فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، تَعرِفُ ذَنبَ كَذَا؟ يَقُولُ:

(١) «تَفسِير الرَّاغِبِ الأَصفَهَانِيّ» (٣/ ١٤١٣).

(٢) «صَحِيح البُخَارِيِّ» (٤٩٣٩)، «صَحِيح مُسلِمٍ» (٢٨٧٦).

(٣) «فَتح البَارِي لِابنِ حَجَرٍ» (١١/ ٤٠٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

أَعرِفُ، يَقُولُ: رَبِّ أَعرِفُ «مَرَّتَينِ»، فَيَقُولُ: سَتَرتُهَا فِي الدُّنيَا، وأَغفِرُهَا لَكَ اليَومَ، فَيُعطَى صَحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ، وأَمَّا الكُفَّارُ والمُنَافِقُونَ فَيُنَادَى بِهِم عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هُود: ١٨][1].

۞ وقَالَ ابنُ زَيدٍ فِي قَولِهِ: ﴿فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا﴾ [الانشِقَاق: ٨] قَالَ: الحِسَابُ اليَسِيرُ: الَّذِي يَغفِرُ ذُنُوبَهُ، ويَتَقَبَّلُ حَسَنَاتِهِ، ويَسِيرُ الحِسَابِ: الَّذِي يُعفَى عَنهُ، وقَرَأَ: ﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ﴾ [الرَّعد: ٢١] وقَرَأَ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِ﴾ [الأَحقَاف: ١٦].[2]

﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا﴾ [الانشِقَاق: ٩]

يَرجِعُ إِلَى أَهلِهِ مِنَ الحُورِ العِينِ، أَو أَهلِهِ مِمَّن سَبَقَهُ إِلَى الجَنَّةِ.

وهَذَا أَعظَمُ شُعُورٍ، ولَا يُقَاسُ بِهِ سُرُورٌ فِي الدُّنيَا، ولَا شَبِيهَ لَهُ.

هَذِهِ هِيَ السَّعَادَةُ الأَبَدِيَّةُ.. هَذِهِ نِهَايَةُ المَآسِي.. هَذِهِ نِهَايَةُ الكَبَدِ: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾ [البَلَد: ٤]، هُنَا انتَهَى الكَبَدُ.

(١) «صَحِيح البُخَارِيِّ» (٤٦٨٥)، «صَحِيح مُسلِمٍ» (٢٧٦٨).

(٢) «تَفسِير الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٢٣٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

۞ قِيلَ لِرَاهِبٍ: «ومَتَى يَجِدُ العَبدُ الرَّاحَةَ؟» قَالَ: «إِذَا وضَعَ قَدَمَهُ فِي الجَنَّةِ»(١).

۞ وقَالَ أَبُو مَنصُورٍ المَاتُرِيدِيُّ: وهَذَا لِأَنَّ المُسلِمَ إِنَّما تَأَهَّلَ عَلَى قَصدِ تَحصِيلِ النَّفعِ لِنَفسِهِ فِي العَاقِبَةِ، وتَكُونُ مُعِينَةً لَهُ عَلَى أُمُورِ الآخِرَةِ؛ فَحَصَلَ لَهُ ذَلِكَ النَّفعُ بِإِحرَازِهِ السُّرُورَ الدَّائِمَ بِذَلِكَ، والكَافِرُ تَأَهَّلَ لِلمَنَافِعِ الحَاضِرَةِ وسُرَّ بِهَا سُرُورًا، وأَنسَاهُ السُّرُورُ أَمرَ العَاقِبَةِ؛ فَحَقَّ عَلَيهِ العَذَابُ؛ لِتَركِهِ السَّعيَ لِلآخِرَةِ، لَا لِسُرُورِهِ بِأَهلِهِ، وهُو كَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء:٨١] الآيَةَ، والكُلُّ مِنَّا يُرِيدُ العَاجِلَةَ ولَا بُدَّ لَهُ مِنهَا، لَكِنَّ الَّذِي يَصلَى جَهَنَّمَ هُو الَّذِي ابتَغَى العَاجِلَةَ ابتِغَاءً أَنسَاهُ ذَلِكَ عَنِ الآخِرَةِ، فَكَذَلِكَ المَسرُورُ بِأَهلِهِ إِنَّمَا حَلَّت بِهِ النِّقمَةُ لَمَّا مَنَعَهُ السُّرُورُ عَنِ النَّظَرِ لِلعَاقِبَةِ، لَا لِنَفسِ السُّرُورِ؛ إِذ كُلُّ مُتَأَهِّلٍ لَا يَخلُو عَنِ السُّرُورِ بِأَهلِهِ، واللهُ أَعلَمُ.(٢)

(١) «الزُّهدُ والرَّقَائِقُ لِلخَطِيبِ البَغدَادِيِّ» (ص٩٦).

(٢) «تَفسِير المَاتُرِيدِيِّ» (١٠/ ٤٧٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

* ووردَ اسمُ السُّرُورِ فِي القُرآنِ فِي مَوضِعَينِ:

المَوضِعُ الأَوَّلُ: قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١١].

والمَوضِعُ الثَّانِي: قَولُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ [الانشِقَاق: ٧-٩][1].

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ [الانشِقَاق: ١٠]

قَالَ مُجَاهِدٌ: تُختَلَعُ يَدُهُ مِن وَرَاءِ ظَهرِهِ[2].

وقَالَ الفَرَّاءُ: يُقَالُ: إِنَّ أَيمَانَهم تُغَلُّ إِلَى أَعنَاقِهِم، وتَكُونُ شَمَائِلُهُم وَرَاءَ ظُهُورِهِم[3].

وقَالَ الثَّعلَبِيُّ: تُغَلُّ يَدُهُ اليُمنَى إِلَى عُنُقِهِ، وتُجعَلُ يَدُهُ الشِّمَالُ وَرَاءَ ظَهرِهِ. فَيُؤتَى كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ مِن وَرَاءِ ظَهرِهِ[4].

فَإِن قِيلَ أَلَيسَ فِي سُورَةِ الحَاقَّةِ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ [الحَاقَّة: ٢٥] ولَم يَذكُرِ الظَّهرَ؟!.

(١) «مَدَارِج السَّالِكِين بَين مَنَازِل إِيَّاكَ نَعبُدُ وإِيَّاكَ نَستَعِينُ» (٣/ ١٥٣).

(٢) «تَفسِير الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٢٤٠) «تَفسِير الثَّعلَبِيِّ» (٢٩/ ١٠٥).

(٣) «مَعَانِي القُرآنِ لِلفَرَّاء» (٣/ ٢٥٠).

(٤) «تَفسِير الثَّعلَبِيِّ» (٢٩/ ١٠٥).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

* فَالجَوابُ مِن وجهَينِ:

* أَحَدُهُمَا: يَحتَمِلُ أَن يُؤتَى بِشِمَالِهِ ورَاءَ ظَهرِهِ.

* وثَانِيهَا: أَن يَكُونَ بَعضُهُم يُعطَى بِشِمَالِهِ، وبَعضُهُم مِن ورَاءِ ظَهرِهِ.(١)

۞ وقِيلَ: يُفعَلُ بِهِم ذَلِكَ؛ لِأَنَّهم نَبَذُوا كِتَابَ اللهِ ورَاءَ ظُهُورِهِم.(٢)

والإِيتَاءُ مِن ورَاءِ الظَّهرِ يَحتَمِلُ وجهَينِ:

* أَحَدُهُمَا: أَنِ استُقذِرَ مِنهُ؛ لِخُبثِ مَنظَرِهِ؛ فَأُوتِيَ مِن ورَاءِ ظَهرِهِ؛ مُجَازَاةً لَهُ بِمَا سَبَقَ مِن صُنعِهِ، وصُنعُهُ أَنَّهُ نَبَذَ كِتَابَ اللهِ ورَاءَ ظَهرِهِ، وتَرَكَ أَوامِرَهُ ونَواهِيهِ كَذَلِكَ ورَاءَ ظَهرِهِ؛ فَجُوزِيَ -أَيضًا- بِدَفعِ كِتَابِهِ ورَاءَ ظَهرِهِ، ودَفعَ إِلَى المُؤمِنِ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ؛ لِمَا فِي كِتَابِهِ مِنَ المَحَاسِنِ والبَرَكَاتِ، واليَمِينُ أُنشِئَت؛ لِتُستَعمَلَ فِي البَرَكَاتِ وأَنواعِ الخَيرِ، وسُمِّيَت -أَيضًا- بِاسمٍ مُشتَقٍّ مِنَ اليُمنِ والبَرَكَةِ، والشِّمَالُ جُعِلَت لِتُستَعمَلَ فِي الأَقذَارِ والأَنجَاسِ، وسَبَقَ هَذَا المَعنَى، فَدُفِعَ كِتَابُهُ مِن خُبثِ عَمَلِهِ إِلَيهِ بِشِمَالِهِ أَيضًا أَو مِن ورَاءِ ظَهرِهِ.

ولِأَنَّ أَهلَ الإِيمَانِ قَبِلُوا أَمرَ اللهِ -تَعَالَى- ونَواهِيهِ واستَقبَلُوهَا بِالتَّعظِيمِ والتَّبجِيلِ، ومَن أَرَادَ تَعظِيمَ الآخَرِ فِي الشَّاهِدِ وتَبجِيلَهُ، أَخَذَهُ بِيَمِينِهِ، فَجُوزُوا فِي الآخِرَةِ بِالتَّعظِيمِ لَهُم بِأَن أُوتُوا كُتُبَهُم بِأَيمَانِهِم، وأَمَّا

(١) «تَفسِير الرَّازِيِّ» (٣١/ ٩٩).

(٢) «تَفسِير الأَلُوسِيِّ = رُوح المَعَانِي» (١٥/ ٢٨٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

الكَافِرُ فَإِنَّهُ استَخَفَّ بِأَمرِ اللهِ -تَعَالَى- وطَاعَتِهِ؛ فَجُوزِيَ فِي الآخِرَةِ بِأَن أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ الَّتِي تُستَعمَلُ فِي الأَقذَارِ؛ إِهَانَةً لَهُ وتَحقِيرًا.(١)

﴿فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا﴾ [الانشِقَاق: ١١]

الثُّبُورُ: الهَلَاكُ والفَسَادُ، وهُو جَامِعٌ لِأَنوَاعِ المَكَارِهِ(٢) فَيُقَولُ: يَا ثُبُورَاهُ، تَعَالَ فَهَذَا أَوَانُكَ.(٣)

فَيَدعُو عَلَى نَفسِهِ بِالهَلَاكِ، فَيُقَالُ لَهُ: ﴿لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ [الفُرقَان:١٤]، لَا تَدعُ عَلَى نَفسِكَ بِالهَلَاكِ مَرَّةً واحِدَةً، بَلِ ادعُ هَلَاكًا كَثِيرًا.

والمَعنَى: أَنَّهُ لَمَّا أُوتِيَ كِتَابَهُ مِن غَيرِ يَمِينِهِ، عَلِمَ أَنَّهُ مِن أَهلِ النَّارِ، فَيَقُولُ: «واثُبُورَاهُ».

۞ **قَالَ الفَرَّاءُ**: العَرَبُ تَقُولُ: «فُلَانٌ يَدعُوا لَهَفَهُ»، إِذَا قَالَ: «واهَفَاهُ».

وفِيهِ وجهٌ آخَرُ ذَكَرَهُ القَفَّالُ، فَقَالَ: الثُّبُورُ مُشتَقٌّ مِنَ المُثَابَرَةِ عَلَى شَيءٍ، وهِيَ المُواظَبَةُ عَلَيهِ، فَسُمِّيَ هَلَاكُ الآخِرَةِ ثُبُورًا؛ لِأَنَّهُ لَازِمٌ لَا يَزُولُ، كَمَا قَالَ: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفُرقَان: ٦٥] وأَصلُ الغَرَامِ: اللُّزُومُ والوُلُوعُ.(٤)

---

(١) «تَفسِير المَاتُرِيدِيِّ = تَأوِيلَات أَهلِ السُّنَّةِ» (١٠/ ٤٧٤).

(٢) «المُفرَدَات فِي غَرِيبِ القُرآنِ» (ص١٧١).

(٣) «تَفسِير الأَلُوسِيِّ = رُوح المَعَانِي» (١٥/ ٢٨٩).

(٤) «تَفسِير الرَّازِيِّ» (٣١/ ٩٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشِقَاق: ١٢]

أَي: يَدخُلُ جَهَنَّمَ فَيُشوى فِيهَا.

وأَصلُ الصِّلي: الإِيقَادُ بِالنَّارِ.

قَالَ الكِسَائِيُّ: «شَاةٌ مَصلِيَّةٌ»: مَشوِيَّةٌ.

وقَالَ الخَلِيلُ: «صَلِيَ الكَافِرُ النَّارَ»: قَاسَى حَرَّهَا، وقِيلَ: «صَلَى النَّارَ»: دَخَلَ فِيهَا، وأَصلَاهَا غَيرَهُ، والصَّلَاءُ: يُقَالُ لِلوقُودِ ولِلشِّواءِ.(١)

بَعضُ الآيَاتِ الَّتِي ذُكِرَت فِيهَا هَذِهِ الكَلِمَةُ	
﴿ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ﴾ [يس/ ٦٤]	﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا﴾ [المُجَادِلَة/ ٨]
﴿يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [الأَعلَى/ ١٢]	﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المُدَّثِّر/ ٢٦]
﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ [الغاشية/ ٤]	﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ [الواقِعَة/ ٩٤]
﴿يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [المُجَادِلَة/ ٨]	﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾ [النِّسَاء/ ٣٠]
﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النِّسَاء/ ١٠]	﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾ [اللَّيل: ١٥-١٦]
﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾ [مَريَم/ ٧٠]	﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الإنشقاق: ١٢]

(١) «المُفرَدَات فِي غَرِيبِ القُرآنِ» (ص٤٩٠)، «لِسَان العَرَبِ» (١٤/ ٤٦٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ [الانشِقَاق: ١٣]

كَانَ لِنَفسِهِ مُتَابِعًا، وفِي مَرَاتِعِ هَواهُ سَاعِيًا، غَافِلًا عَمَّا وَرَاءَ اللَّحظَةِ الحَاضِرَةِ، لَاهِيًا عَمَّا يَنتَظِرُهُ فِي الدَّارِ الآخِرَةِ، لَا يَحسِبُ لَهَا حِسَابًا، ولَا يُقَدِّمُ لَهَا زَادًا، وكَانَ فِي الدُّنيَا مُترَفًا بَطِرًا مُستَبشِرًا؛ كَعَادَةِ الفُجَّارِ الَّذِينَ لَا يُهِمُّهُم أَمرُ الآخِرَةِ ولَا يُفَكِّرُونَ فِي العَوَاقِبِ، ولَم يَكُن مُتَفَكِّرًا كَعَادَةِ الصُّلَحَاءِ والمُتَّقِينَ.(١)

كَانُوا فَرِحِينَ مُختَالِينَ، لَا يَعبَؤُونَ بِالحِسَابِ ولَا يَخَافُونَهُ، ولَا يَنتَظِرُونَهُ.

۞ عَن أَبِي هُرَيرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يَروِي عَن رَبِّهِ ﷻ قَالَ: «وعِزَّتِي لَا أَجمَعُ عَلَى عَبدِي خَوفَينِ وأَمنَينِ، إِذَا خَافَنِي فِي الدُّنيَا أَمَّنتُهُ يَومَ القِيَامَةِ، وإِذَا أَمِنَنِي فِي الدُّنيَا أَخَفتُهُ يَومَ القِيَامَةِ».(٢)

وقَولُهُ جَلَّ ذِكرُهُ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ [الانشِقَاق: ١٣] **ذَكَرَ القَفَّالُ فِيهِ وجهَينِ:**

* **أَحَدُهُمَا:** أَنَّهُ كَانَ فِي أَهلِهِ مَسرُورًا، أَي: مُنَعَّمًا مُستَرِيحًا مِنَ التَّعَبِ بِأَدَاءِ العِبَادَاتِ، واحتِمَالِ مَشَقَّةِ الفَرَائِضِ مِنَ الصَّلَاةِ والصَّومِ والجِهَادِ،

(١) انظُر «تَفسِير الزَّمخشَرِيِّ = الكَشَّاف عَن حَقَائِقِ غَوامِضِ التَّنزِيل» (٤/ ٧٢٧).

(٢) «صَحِيح ابنِ حِبَّانَ» (٦٤٠) وقَد رُوِي على الحَسَن مِن قَولِهِ.

وقَالَ الدَّارَقُطنِيُّ: إِنَّمَا يُعرَفُ هَذَا مِن حَدِيثِ عَوفٍ، عَنِ الحَسَنِ مُرسَلٌ «عِلَل الدَّارَقُطنِيِّ = العِلَل الوَارِدَة فِي الأَحَادِيث النَّبَوِيَّة» (٨/ ٣٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

مُقدِمًا عَلَى المَعَاصِي، آمِنًا مِنَ الحِسَابِ والثَّوابِ والعِقَابِ، لَا يَخَافُ اللهَ ولَا يَرجُوهُ؛ فَأَبدَلَهُ اللهُ بِذَلِكَ السُّرُورِ الفَانِي غَمًّا بَاقِيًا لَا يَنقَطِعُ، وكَانَ المُؤمِنُ الَّذِي أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ مُتَّقِيًا مِنَ المَعَاصِي، غَيرَ آمِنٍ مِنَ العَذَابِ، ولَم يَكُن فِي دُنيَاهُ مَسرُورًا فِي أَهلِهِ، فَجَعَلَهُ اللهُ فِي الآخِرَةِ مَسرُورًا، فَأَبدَلَهُ اللهُ تَعَالَى بِالغَمِّ الفَانِي سُرُورًا دَائِمًا لَا يَنفَذُ.

* الثَّانِي: أَنَّ قَولَهُ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا﴾ كَقَولِهِ: ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ﴾ [المُطَفِّفِينَ: ٣١] أَي: مُتَنَعِّمِينَ فِي الدُّنيَا، مُعجَبِينَ بِمَا هُو عَلَيهِ مِنَ الكُفرِ، فَكَذَلِكَ هَاهُنَا يَحتَمِلُ أَن يَكُونَ المَعنَى: أَنَّهُ كَانَ فِي أَهلِهِ مَسرُورًا بِمَا هُم عَلَيهِ مِنَ الكُفرِ بِاللهِ والتَّكذِيبِ بِالبَعثِ، يَضحَكُ مِمَّن آمَنَ بِهِ وصَدَّقَ بِالحِسَابِ، وقَد رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «الدُّنيَا سِجنُ المُؤمِنِ وجَنَّةُ الكَافِرِ».(١)

﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ [الانشِقَاق: ١٤]

فَسَدَ اعتِقَادُهُ، فَفَسَدَ عَمَلُهُ: ﴿وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُ﴾ [الجَاثِيَة: ٢٤]؛ فَلِهَذَا كَانَ يَعمَلُ عَمَلَ مَن لَا يَخَافُ عَاقِبَةً.(٢)

(١) «تَفسِير الرَّازِيِّ» (٣١/ ١٠٠) عَن أَبِي هُرَيرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الدُّنيَا سِجنُ المُؤمِنِ، وجَنَّةُ الكَافِرِ» «صَحِيح مُسلِم» (٢٩٥٦).

(٢) «نَظمُ الدُّرَر فِي تَنَاسُبِ الآيَاتِ والسُّور» (٢١/ ٣٤٥).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ﴾: أَي: تَيَقَّنَ.

﴿أَن لَّن يَحُورَ﴾: لَن يَرجِعَ إِلَى اللهِ ﷻ.

۞ عَن قَتَادَةَ: قَولُهُ: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾: أَن لَا مَعَادَ لَهُ ولَا رَجعَةَ.(١)

والحَورُ: مَصدَرُ «حَارَ حَورًا»: رَجَعَ.

ويُقَالُ: «نُعُوذُ بِاللهِ مِنَ الحَورِ بَعدَ الكَورِ»، وهُو النُّقصَانُ بَعدَ الزِّيَادَةِ.(٢)

۞ عَن عَبدِ اللهِ بنِ سَرجِسَ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا سَافَرَ يَتَعَوذُ مِن وعثَاءِ السَّفَرِ، وكَآبَةِ المُنقَلَبِ، والحَورِ بَعدَ الكَورِ، ودَعوةِ المَظلُومِ، وسُوءِ المَنظَرِ فِي الأَهلِ والمَالِ».(٣)

الحَورُ بَعدَ الكَورِ أَي: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكُفرِ بَعدَ الإِيمَانِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ النُّقصَانِ بَعدَ الزِّيَادَةِ؛ بِأَن يَكُونَ الإِنسَانُ رَجُلًا صَالِحًا، ثُمَّ يَنقَلِبُ إِلَى رَجُلِ سُوءٍ.

۞ وقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ ﷺ: كُنتُ لَا أَدرِي مَا مَعنَى يَحُورُ حَتَّى سَمِعتُ أَعرَابِيَّةً تَدعُو بُنَيَّةً لَهَا تَقُولُ: «حُورِي حُورِي» أَي: ارجِعِي.(٤)

---

(١) «تَفسِير الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٢٤٢).

(٢) «مَقَايِيس اللُّغَة» (٢/ ١١٧).

(٣) «صَحِيح مُسلِم» (٤٢٦).

(٤) «تَفسِير الثَّعلَبِيِّ» (٢٩/ ١١٠).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤ بَلَىٰٓ﴾.

بَلَى سَيَحُورُ، ويَرجِعُ، فَلَيسَ الأَمرُ كَمَا ظَنَّ.

﴿بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ۝١٥﴾ [الانشِقَاق: ١٥]

كَانَ بِعَمَلِهِ بَصِيرًا، وكَانَ بِمَا يَستَحِقُّهُ مِن سَعَادَةٍ وشَقَاءٍ بَصِيرًا، قَبلَ أَن يَخلُقَهُ.

وقَولُهُ جَلَّ ذِكرُهُ: ﴿إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ۝١٥﴾ يَحتَمِلُ وجهَينِ:

* **أَحَدُهُمَا**: مُشَاهِدًا لِمَا كَانَ عَلَيهِ.

* **الثَّانِي**: خَبِيرًا بِمَا يَصِيرُ إِلَيهِ.(١)

وهَذِهِ الآيَةُ تَتَضَمَّنُ التَّهدِيدَ، ومَن أَيقَنَ بِرُؤيَةِ صَالِحِي النَّاسِ لِعَمَلِهِ، استَحَى مِن مَعصِيَةِ اللهِ أَمَامَهُم، فَمَا بَالُكَ مِمَّن يَستَحضِرُ رُؤيَةَ اللهِ دَائِمًا لَهُ، وهَذِهِ دَرَجَةُ الإِحسَانِ.

۞ **قَالَ أَبُو مَنصُورٍ المَاتُرِيدِيُّ**: كَانَ بَصِيرًا بِمَا سَبَقَ مِن أَعمَالِهِ الخَبِيثَةِ؛ فَيُحَاسِبُهُ عَلَى عِلمٍ مِنهُ بِمَا كَسَبَت يَدَاهُ، ويُعَذِّبُهُ عَلَى عِلمٍ مِنهُ بِاكتِسَابِ مَا استُوجِبَ مِنَ العَذَابِ؛ خِلَافًا لِأَمرِ مُلُوكِ الدُّنيَا: أَنَّهُم يُحَاسِبُونَ عَلَى تَذكِيرِ الغَيرِ لَهُم مَا عَلَيهِ مِنَ الحِسَابِ، ويُعَذِّبُونَ عَلَى تَعرِيفِ الغَيرِ لَهُم مَا استُوجِبَ بِهِ التَّعذِيبُ، لَا عَلَى عِلمٍ مِنهُم بِذَلِكَ.(٢)

(١) «تَفسِير المَاوردِيِّ = النُّكَت والعُيُون» (٦/ ٢٣٧).

(٢) «تَفسِير المَاتُرِيدِيِّ = تَأوِيلَات أَهلِ السُّنَّةِ» (١٠/ ٤٧٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾ [الانشِقَاق: ١٧]

﴿فَلَآ﴾: صِلَةٌ لِلتَّوكِيدِ.

وقَولُهُ جَلَّ ذِكرُهُ: ﴿أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾ فِيهِ أَربَعَةُ أَقَاوِيل:

* أَحَدُهَا: أَنَّهُ شَفَقُ اللَّيلِ، وهُو الحُمرَةُ.

۞ قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ ﷺ وأَكثَرُ النَّاسِ: هُو الحُمرَةُ الَّتِي تَبقَى فِي الأُفُقِ بَعدَ غُرُوبِ الشَّمسِ، وبِغَيبُوبَتِهِ يَتَعَلَّقُ أَولُ وقتِ العِشَاءِ الآخِرَةِ.

وإِلَيهِ ذَهَبَ مِنَ الصَّحَابَةِ: ابنُ مَسعُودٍ، وابنُ الزُّبَيرِ، وعُمَرُ، وابنُهُ، وعُبَادَةُ بنُ الصَّامِتِ، وشَدَّادُ بنُ أَوسٍ، وأَنَسُ بنُ مَالِكٍ، ومِنَ الفُقَهَاءِ: مَالِكٌ، والأَوزَاعِيُّ، والشَّافِعِيُّ، وأَبُو يُوسُفَ، وأَبُو ثَورٍ، وأَبُو عُبَيدٍ، وأَحمَدُ، وإِسحَاقُ رَحِمَهُمُ اللهُ[(١)].

وأَهلُ اللُّغَةِ عَلَى أَنَّ الحُمرَةَ مِن بَعدِ غُرُوبِ الشَّمسِ إِلَى وقتِ صَلَاةِ العِشَاءِ الآخِرَةِ، وهُو قَولُ اللَّيثِ، والفَرَّاءِ، والزَّجَّاجِ[(٢)].

۞ وقَالَ البَغَوِيُّ: هُو قَولُ أَكثَرِ المُفَسِّرِينَ.[(٣)]

(١) انظُر: «تَفسِير الثَّعلَبِيِّ» (٢٩/ ١١٠) «مَعَانِي القُرآنِ لِلفَرَّاء» (٣/ ٢٥١).

(٢) «التَّفسِير البَسِيط» (٢٣/ ٣٦٣).

(٣) «تَفسِير البَغَوِيِّ - طَيبَة» (٨/ ٣٧٥).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

۞ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «وقتُ الظُّهرِ إِذَا زَالَتِ الشَّمسُ وكَانَ ظِلُّ الرَّجُلِ كَطُولِهِ مَا لَمْ يَحْضُرِ العَصرُ، ووقتُ العَصرِ مَا لَمْ تَصفَرَّ الشَّمسُ، ووقتُ صَلَاةِ المَغرِبِ مَا لَمْ يَغِبِ الشَّفَقُ، ووقتُ صَلَاةِ العِشَاءِ إِلَى نِصفِ اللَّيلِ الأَوسَطِ، ووقتُ صَلَاةِ الصُّبحِ مِن طُلُوعِ الفَجرِ مَا لَمْ تَطلُعِ الشَّمسُ، فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمسُ فَأَمسِك عَنِ الصَّلَاةِ؛ فَإِنَّهَا تَطلُعُ بَينَ قَرنَي شَيطَانٍ».(١)

۞ وقَالَ الطَّبَرِيُّ: والصَّوابُ مِنَ القَولِ فِي ذَلِكَ عِندِي أَن يُقَالَ: إِنَّ اللهَ أَقسَمَ بِالنَّهَارِ مُدبِرًا، واللَّيلِ مُقبِلًا.(٢)

* الثَّانِي: أَنَّهُ بَقِيَّةُ ضَوءِ الشَّمسِ. قَالَهُ مُجَاهِدٌ.

* الثَّالِثُ: أَنَّهُ مَا بَقِيَ مِنَ النَّهَارِ. قَالَهُ عِكرِمَةُ.

* الرَّابِعُ: أَنَّهُ النَّهَارُ، رَواهُ ابنُ أَبِي نُجَيحٍ(٣).

۞ قَالَ ابنُ عَطِيَّةَ: قِيلَ: «الشَّفَقُ» هُنَا: النَّهَارُ كُلُّهُ. قَالَهُ مُجَاهِدٌ، وهَذَا قَولٌ ضَعِيفٌ(٤).

---

(١) «صَحِيح مُسلِم» (٦١٢).

(٢) «تَفسِير الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٢٤٤).

(٣) انظُر لِهَذِهِ الأَقوالِ «تَفسِير المَاوردِيِّ» (٦/ ٢٣٧).

(٤) «تَفسِير ابنِ عَطِيَّةَ» (٥/ ٤٥٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾ [الانشِقَاق: ١٧]

أَقسَمَ اللهُ بِاللَّيلِ وبِالنَّهَارِ، الَّذَينِ أَحَدُهُمَا مَعَاشٌ، والثَّانِي يُسكَنُ فِيهِ، وبِهِمَا قِوامُ أُمُورِ العَالَمِ، وكَمَا أَنَّ هُنَاكَ لَيلٌ ونَهَارٌ، فَهُنَاكَ أَهلُ إِيمَانٍ وأَهلُ كُفرٍ.

الوسَقُ: جَمعُ المُتَفَرِّقِ، يُقَالُ: «وسَقتُ الشَّيءَ» إِذَا جَمَعتُهُ.

۞ **وقَالَ اللَّيثُ**: الوسَقُ: ضَمُّكَ الشَّيءَ بَعضَهُ إِلَى بَعضٍ، و«استَوسَقَتِ الإِبِلُ» إِذَا اجتَمَعَت وانضَمَّت.(١)

والوسَقُ: يَكُونُ بِمَعنَى الحَملِ، وكُلُّ شَيءٍ حَمَلتَهُ فَقَد وسَقتَهُ، ومَعنَى «حَمَلَ» فِي اللَّيلِ: يَعنِي «ضَمَّ وجَمَعَ»، أَي: مَا أَتَى عَلَيهِ اللَّيلُ، وحَمَلَهُ فِي ظُلمَتِهِ، وذَلِكَ أَنَّهُ يُجَلِّلُ الأَشجَارَ والجِبَالَ، والبِحَارَ، والأَرضَ كُلَّهَا، فَإِذَا جَلَّلَهَا فَقَد وسَقَهَا.(٢)

ومَا مِن كَائِنٍ إِلَّا ويَأتِيهِ اللَّيلُ، فَكَأَنَّ اللهَ يُقسِمُ بِكُلِّ المَخلُوقَاتِ فِي هَذِهِ الآيَةِ؛ لِأَنَّ اللَّيلَ يُغَطِّيهَا جَمِيعًا.

وقَولُهُ جَلَّ ذِكرُهُ: ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾ فِيهِ أَربَعَةُ تَأوِيلَاتٍ:

* **أَحَدُهَا**: ومَا جَمَعَ، وضَمَّ، وحَوى، ولَفَّ.

---

(١) «التَّفسِير البَسِيط» (٢٣/ ٣٦٦).

(٢) «التَّفسِير البَسِيط» (٢٣/ ٣٦٧)، «المُفرَدَات فِي غَرِيبِ القُرآنِ» (ص٨٧١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

۞ قَالَهُ: مُجَاهِدٌ، ومَسرُوقٌ، والحَسَنُ، وأَبُو صَالِحٍ، وأَبُو العَالِيَةِ، ورِوايَةُ ابنِ أَبِي مُلَيكَةَ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَا جَمَعَ.

واختِيَارُ الفَرَّاءِ، والزَّجَّاجِ، والمُبَرِّدِ.(١)

۞ وقَالَ القَفَّالُ: مَجمُوعُ أَقَاوِيلِ المُفَسِّرِينَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُم فَسَّرُوا قَولَهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا وَسَقَ﴾ عَلَى جَمِيعِ مَا يَجمَعُهُ اللَّيلُ مِنَ النُّجُومِ ورُجُوعِ الحَيَوانِ عَنِ الانتِشَارِ وتَحَرُّكِ مَا يَتَحَرَّكُ فِيهِ الهَوامُّ، ثُمَّ هَذَا يَحتَمِلُ أَن يَكُونَ إِشَارَةً إِلَى الأَشيَاءِ كُلِّهَا لِاشتِمَالِ اللَّيلِ عَلَيهَا، فَكَأَنَّهُ تَعَالَى أَقسَمَ بِجَمِيعِ المَخلُوقَاتِ كَمَا قَالَ: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الحَاقَّة: ٣٨].(٢)

* الثَّانِي: ومَا جَنَّ وسَتَرَ. قَالَهُ ابنُ عَبَّاسٍ.

* الثَّالِثُ: ومَا سَاقَ مِن ظُلمَةٍ، فَإِذَا كَانَ اللَّيلُ، ذَهَبَ كُلُّ شَيءٍ إِلَى مَأوَاهُ، قَالَهُ عِكرِمَةُ.(٣)

* الرَّابِعُ: ومَا عُمِلَ فِيهِ. قَالَهُ ابنُ جُبَيرٍ.(٤)

---

(١) انظُر: «تَفسِير الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٢٤٥)، «التَّفسِير البَسِيط» (٢٣/ ٣٦٥).

(٢) «مَفَاتِيحُ الغَيبِ أو التفسير الكبير» (٣١/ ١٠١).

(٣) «تَفسِير الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٢٤٨).

(٤) «تَفسِير المَاوَردِيِّ = النُّكَت والعُيُون» (٦/ ٢٣٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

۞ وقَالَ القَفَّالُ: يَحتَمِلُ أَن يَكُونَ ذَلِكَ هُو تَهَجُّدُ العِبَادِ؛ فَقَد مَدَحَ اللهُ تَعَالَى بِهَا المُستَغفِرِينَ بِالأَسحَارِ، فَيَجُوزُ أَن يَحلِفَ بِهِم.(١)

﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾ [الانشِقَاق: ١٨]

القَمَرُ إِذَا تَمَّ واستَدَارَ واكتَمَلَ.

وقَولُهُ جَلَّ ذِكرُهُ: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾ فِيهِ أَربَعَةُ تَأوِيلَاتٍ:

* أَحَدُهَا: إِذَا اجتَمَعَ واستَوى. قَالَهُ ابنُ عَبَّاسٍ.

وقَولُهُم: «اتَّسَقَ الأَمرُ» إِذَا انتَظَمَ واستَوى.

۞ قَالَ الضَّحَّاكُ: لَيلَةُ أَربَعَةَ عَشَرَ هِيَ لَيلَةُ السَّواءِ.

اجتَمَعَ واستَوى وتَمَّ نُورُهُ، وهُو فِي الأَيَّامِ البِيضِ.(٢)

* الثَّانِي: والقَمَرِ إِذَا استَدَارَ. قَالَهُ قَتَادَةُ.(٣)

* الثَّالِثُ: إِذَا اجتَمَعَ. قَالَهُ مُجَاهِدٌ، ومَعَانِيهَا مُتَقَارِبَةٌ.

ويَحتَمِلُ رَابِعًا: إِذَا طَلَعَ مُضِيئًا.(٤)

---

(١) «تَفسِير الرَّازِيِّ» (٣١/ ١٠١).

(٢) «تَفسِير الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٢٤٩) «تفسير البغوي» (٨/ ٣٧٥).

(٣) «تَفسِير الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٢٥٠).

(٤) «تَفسِير المَاوَردِيِّ = النُّكَت والعُيُون» (٦/ ٢٣٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

۞ قَالَ السِّعدِيُّ: أَقسَمَ فِي هَذَا المَوضِعِ بِآيَاتِ اللَّيلِ، فَأَقسَمَ بِالشَّفَقِ الَّذِي هُو بَقِيَّةُ نُورِ الشَّمسِ، الَّذِي هُو مُفتَتَحُ اللَّيلِ.

﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾ أَي: احتَوى عَلَيهِ مِن حَيَوَانَاتٍ وغَيرِهَا، ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾ أَي: امتَلَأَ نُورًا بِإِبدَارِه، وذَلِكَ أَحسَنُ مَا يَكُونُ وأَكثَرُ مَنَافِعَ، والمُقسَمُ عَلَيهِ قَولُهُ: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ﴾.(٥)

﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشِقَاق: ١٩]

۞ قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ «حَالًا بَعدَ حَالٍ»، وقَالَ: «هَذَا نَبِيُّكُم ﷺ».(٦)

۞ وقَالَ ابنُ الأَعرَابِيِّ: الطَّبَقُ: الحَالُ عَلَى اختِلَافِهَا.(٧)

والعَرَبُ تَقُولُ: «وقَعَ فِي بَنَاتِ طَبَقٍ»، إِذَا وقَعَ فِي الأَمرِ الشَّدِيدِ.(٨)

وقَولُهُ جَلَّ ذِكرُهُ: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ فِيهِ سَبعَةُ تَأوِيلَاتٍ:

* أَحَدُهَا: سَمَاءً بَعدَ سَمَاءٍ. قَالَهُ ابنُ مَسعُودٍ والشَّعبِيُّ.(٩)

---

(٥) «تَفسِير السَّعدِيِّ» (ص٩١٧).

(٦) «صحيح البخاري» (٤٩٤٠).

(٧) «التفسير البسيط» (٢٣/ ٣٧١).

(٨) «مَعَانِي القُرآنِ لِلفَرَّاءِ» (٣/ ٢٥٢).

(٩) «تَفسِير الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٢٥٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

* الثَّانِي: حَالًا بَعدَ حَالٍ، فَطِيمًا بَعدَ رَضِيعٍ، وشَيخًا بَعدَ شَابٍّ. قَالَهُ عِكرِمَةُ.

۞ قَالَ الْحُكَمَاءُ: يَشتَمِلُ الإِنسَانَ مِن كَونِهِ نُطفَةً إِلَى أَن يَهرَمَ، ويَمُوتَ عَلَى سَبعَةٍ وثَلَاثِينَ حَالًا، وسَبعَةٍ وثَلَاثِينَ اسمًا.

نُطفَةً، ثُمَّ عَلَقَةً، ثُمَّ مُضغَةً، ثُمَّ عِظَامًا، ثُمَّ خَلقًا آخَرَ، ثُمَّ جَنِينًا، ثُمَّ وَلِيدًا، ثُمَّ رَضِيعًا، ثُمَّ فَطِيمًا، ثُمَّ يَافِعًا، ثُمَّ نَاشِئًا، ثُمَّ مُتَرَعرِعًا، ثُمَّ حَزَورًا [الغُلَامُ إِذَا احتَلَمَ واجتَمَعَت قُوَتُهُ]، ثُمَّ مُرَاهِقًا، ثُمَّ مُحتَلِمًا، ثُمَّ بَالِغًا، ثُمَّ أَمرَدَ، ثُمَّ طَارًّا [الَّذِي طَرَّ شَارِبُه، يَعنِي: ظَهَرَ شَارِبُهُ]، ثُم بَاقِلًا [هُو الَّذِي اخضَرَّ شَارِبُهُ]، ثُمَّ مُسبَطِرًّا، ثُمَّ مُطرَخِمًّا [هُو الشَّابُّ الحَسَنُ التَّامُّ]، ثُمَّ مُختَلِطًا، ثُمَّ صُمُلًّا [هُو الشَّدِيدُ الخَلقِ]، ثُمَّ مُلتَحِيًا، ثُمَّ مُستَوِيًا [هُو الَّذِي تَمَّ شَبَابُه، وذَلِكَ إِذَا تَمَّت ثَمَانٍ وعِشرُونَ سَنَةً]، ثُمَّ مُصَعِّرًا، ثُمَّ مُجتَمِعًا [هُو الَّذِي اجتَمَعَت لِحيَتُهُ وبَلَغَ غَايَةَ شَبَابِهِ]، والشَّبَابُ يَجمَعُ ذَلِكَ كُلَّهُ، ثُمَّ مَلهُوزًا، ثُمَّ كَهلًا [هُو الَّذِي يَكُونُ سِنُّهُ بَينَ الخَمسِينَ والسِّتِّينَ]، ثُمَّ أَشمَطَ [يُقَالُ لِلرَّجُلِ الَّذِي شَابَ]، ثُمَّ شَيخًا، ثُمَّ أَشيَبَ [يُقَالُ لِلرَّجُلِ أَولَ مَا يَظهَرُ الشَّيبُ بِهِ]، ثُمَّ مُحَوقِلًا [هُو الَّذِي اعتَمَدَ بِيَدَيهِ عَلَى خَصرَيهِ]، ثُمَّ صَعتَانًا، ثُمَّ هِمًّا [الشَّيخُ الكَبِيرُ البَالِي]، ثُمَّ هَرِمًا [أَقصَى الكِبَرِ]، ثُمَّ مَيِّتًا.[1]

(١) «تفسير الثعلبي» (٢٩/ ١٢٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

* **الثَّالِثُ**: أَمرًا بَعدَ أَمرٍ، رَخَاءً بَعدَ شِدَّةٍ، وشِدَّةً بَعدَ رَخَاءٍ، وغِنىً بَعدَ فَقرٍ، وفَقرًا بَعدَ غِنىً، وصِحَّةً بَعدَ سَقَمٍ، وسَقَمًا بَعدَ صِحَّةٍ. قَالَهُ الحَسَنُ.

۞ **قَالَ الطَّبَرِيُّ**: الصَّوابُ مِنَ التَّأوِيلِ قَولُ مَن قَالَ: «لَتَركَبَنَّ» أَنتَ يَا مُحَمَّدُ حَالًا بَعدَ حَالٍ، وأَمرًا بَعدَ أَمرٍ مِنَ الشَّدَائِدِ.

والمُرَادُ بِذَلِكَ -وإِن كَانَ الخِطَابُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مُوجَّهًا- جَمِيعُ النَّاسِ، أَنَّهُم يَلقَونَ مِن شَدَائِدِ يَومِ القِيَامَةِ وأَهوالِهِ أَحوالًا.

وإِنَّمَا قُلنَا: عُنِيَ بِذَلِكَ مَا ذَكَرنَا، أَنَّ الكَلَامَ قَبلَ قَولِهِ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ جَرَى بِخِطَابِ الجَمعِ، وكَذَلِكَ بَعدَهُ، فَكَانَ أَشبَهَ أَن يَكُونَ ذَلِكَ نَظِيرَ مَا قَبلَهُ ومَا بَعدَهُ.

وقَولُهُ: ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ مِن قَولِ العَرَبِ: «وقَعَ فُلَانٌ فِي بَنَاتِ طَبَقٍ»: إِذَا وقَعَ فِي أَمرٍ شَدِيدٍ.(١)

هَذَا قَولُ أَكثَرِ المُفَسِّرِينَ، قَالُوا: لَتَركَبُنَّ حَالًا بَعدَ حَالٍ، ومَنزِلًا بَعدَ مَنزِلٍ، وأَمرًا بَعدَ أَمرٍ.

وهَذَا قَولُ الحَسَنِ، وقَتَادَةَ، ومُجَاهِدٍ، وعِكرِمَةَ، وابنِ زَيدٍ، وسَعِيدِ بنِ جُبَيرٍ. قَالُوا: لَتَكُونُنَّ فِي الآخِرَةِ بَعدَ الأُولَى، ولَتَصِيرُنَّ أَغنِيَاءَ بَعدَ الفَقرِ،

(١) «تَفسِير الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٢٥٦).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفُقَراءَ بَعدَ الغِنَى، يَعنِي فِي الآخِرَةِ.[١]

۞ قَالَ الثَّعلَبِيُّ: قَالَ أَكثَرُ المُفَسِّرِينَ: حَالًا بَعدَ حَالٍ، وأَمرًا بَعدَ أَمرٍ فِي مَواقِفِ القِيَامَةِ.[٢]

۞ وعَن أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ حَقًّا عَلَى اللهِ أَلَّا يَرفَعَ شَيئًا مِنَ الدُّنيَا إِلَّا وضَعَهُ».[٣]

انظُر إِلَى الحُفَاةِ العُرَاةِ العَالَةِ، رُعَاةِ الشَّاءِ، كَيفَ أَصبَحُوا أَسيَادَ النَّاسِ؟!

تُقَبَّلُ أَيدِيهِم، وتُنتَظَرُ صَدَقَاتُهُم، وإِحسَانُهُم، بَعدَ أَن كَانُوا حُفَاةً عُرَاةً عَالَةً، يَتَسَولُونَ النَّاسَ، ثُمَّ رَكِبُوا طَبَقًا آخَرَ، فَتَغَيَّرَ حَالُهُم، كَانُوا خَدَمًا فَأَصبَحُوا أَسيَادًا!

وهَذَا مِن أَدَلِّ الأَدِلَّةِ عَلَى حِدثِ العَالَمِ، وإِثبَاتِ الصَّانِعِ تَعَالَى.

۞ قَالَ الحُكَمَاءُ: مَن كَانَ اليَومَ عَلَى حَالَةٍ وغَدًا عَلَى حَالَةٍ أُخرَى، فَليَعلَم أَنَّ تَدبِيرَهُ إِلَى سِوَاهُ.

۞ وقِيلَ لِأَبِي بَكرٍ الوَرَّاقِ: مَا الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ لِهَذَا العَالَمِ صَانِعًا؟ قَالَ: تَحوِيلُ الحَالَاتِ، وعَجزُ القُوةِ، وضَعفُ الأَركَانِ، وقَهرُ المَنِيَّةِ، وفَسخُ

(١) «تَفسِير الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٢٥١) «التفسير البسيط» (٢٣/ ٣٧١).

(٢) «تَفسِير الثَّعلَبِيِّ» (٢٩/ ١٢٠).

(٣) «صَحِيح البُخَارِيّ» (٦٥٠١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

العَزِيمَةِ[١].

* **الرَّابِعُ**: مَنزِلَةً بَعدَ مَنزِلَةٍ، قَالَ سَعِيدُ بنُ جُبَيرٍ: قَومٌ كَانُوا فِي الدُّنيَا خَسِيسٌ أَمرُهُم، فَارتَفَعُوا فِي الآخِرَةِ، وآخَرُونَ كَانُوا أَشرَافًا فِي الدُّنيَا، فَاتَّضَعُوا فِي الآخِرَةِ.[٢]

والمَعنَى: أَنَّ النَّاسَ تَنتَقِلُ أَحوالُهُم يَومَ القِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا عَلَيهِ فِي الدُّنيَا؛ فَمِن وَضِيعٍ فِي الدُّنيَا يَصِيرُ رَفِيعًا فِي الآخِرَةِ، ومِن رَفِيعٍ يَتَّضِعُ، ومِن مُتَنَعِّمٍ يَشقَى، ومِن شَقِيٍّ يَتَنَعَّمُ، وهُو كَقَولِهِ: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ [الواقِعَة: ٣] وهَذَا التَّأوِيلُ مُنَاسِبٌ لِمَا قَبلَ هَذِهِ الآيَةِ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ حَالَ مَن يُؤتَى كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهرِهِ، أَنَّهُ كَانَ فِي أَهلِهِ مَسرُورًا، وكَانَ يَظُنُّ أَن لَن يَحُورَ، أَخبَرَ اللهُ أَنَّهُ يَحُورُ، ثُمَّ أَقسَمَ عَلَى النَّاسِ أَنَّهُم يَركَبُونَ فِي الآخِرَةِ طَبَقًا عَن طَبَقٍ، أَي: حَالًا بَعدَ حَالِهِم فِي الدُّنيَا[٣].

* **الخَامِسُ**: عَمَلًا بَعدَ عَمَلٍ، يَعمَلُ الآخِرُ عَمَلَ الأَوَّلِ. قَالَهُ السُّدِّيُّ.

* **السَّادِسُ**: الآخِرَةَ بَعدَ الأُولَى. قَالَهُ ابنُ زَيدٍ.

* **السَّابِعُ**: شِدَّةً بَعدَ شِدَّةٍ، حَيَاةً ثُمَّ مَوتًا ثُمَّ بَعثًا ثُمَّ جَزَاءً، وفِي كُلِّ

(١) «تَفسِير الثَّعلَبِيِّ» (٢٩/ ١٢٢).

(٢) «تَفسِير ابنِ كَثِير ت سَلَامَة» (٨/ ٣٦١).

(٣) «تَفسِير الرَّازِيِّ» (٣١/ ١٠٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

حَالٍ مِن هَذِهِ شِدَّةٌ[١].

۞ عَن عَبدِ اللهِ بنِ مَسعُودٍ رضي الله عنه فِي قَولِهِ ﷺ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾.

قَالَ: «السَّمَاءُ»[٢].

ويَجُوزُ أَن يَكُونَ المَعنَى: لَتَركَبَنَّ السَّمَاءُ حَالًا بَعدَ حَالٍ مِن تَغَيُّرِ حَالَاتِهَا الَّتِي وصَفَهَا اللهُ مِنَ الانشِقَاقِ، والطَّيِّ، وكَونِهَا مَرَّةً كَالدِّهَانِ، ومَرَّةً كَالمُهلِ[٣].

۞ وقَالَ الرَّازِيُّ: المَعنَى: لَتَركَبَنَّ السَّمَاءُ يَومَ القِيَامَةِ حَالَةً بَعدِ حَالَةٍ، وذَلِكَ لِأَنَّهَا أَولًا تَنشَقُّ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ [الانشِقَاق: ١]، ثُمَّ تَنفَطِرُ كَمَا قَالَ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ [الانفِطَار: ١]، ثُمَّ تَصِيرُ: ﴿وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ [الرَّحمَن: ٣٧]، وتَارَةً: ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ [المَعَارِج: ٨] عَلَى مَا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الأَشيَاءَ فِي آيَاتٍ مِنَ القُرآنِ، فَكَأَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ فِي أَولِ السُّورَةِ أَنَّهَا تَنشَقُّ، أَقسَمَ فِي آخِرِ السُّورَةِ أَنَّهَا تَنتَقِلُ مِن أَحوالٍ إِلَى أَحوالٍ.[٤]

وقَد أَقسَمَ اللهُ بِتَغَيُّرَاتٍ واقِعَةٍ فِي الأَفلَاكِ والعَنَاصِرِ؛ فَالشَّفَقُ الَّذِي هُو الحُمرَةُ؛ الَّتِي هِيَ وقتُ المَغرِبِ مُخَالِفَةٌ لِلنَّهَارِ، وبَعدَهَا اللَّيلُ مُخَالِفٌ لَهَا:

---

(١) «تَفسِير المَاوردِيِّ = النُّكَت والعُيُون» (٦/ ٢٣٨).

(٢) «المُستَدرَك عَلَى الصَّحِيحَين لِلحَاكِم» (٣٩١٣).

(٣) «التفسير البسيط» (٢٣/ ٣٦٩).

(٤) «تَفسِير الرَّازِيِّ» (٣١/ ١٠٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴾ مُخَالِفٌ لَهَا، والقَمَرُ بَعدَ أَن كَانَ نَاقِصًا اتَّسَقَ واستَدَارَ واكتَمَلَ، وأَصبَحَ بَدرًا، فَكَأَنَّهُ أَقسَمَ بِالأَحوالِ المُتَغَيِّرَةِ عَلَى قُدرَتِهِ عَلَى البَعثِ.

﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾.

فَشِدَّتُكَ لَن تَدُومَ، وفَقرُكَ لَن يَدُومَ، وغِنَاكَ لَن يَدُومَ.

انظُرُوا! الدَّولَةُ الأُمويَّةُ، بَعدَهَا الدَّولَةُ العَبَّاسِيَّةُ، وبَعدَهَا.. أَينَ ذَهَبَ هَؤُلَاءِ؟

تَغَيَّرَت أَحوالُهُم، آخِرُ خَلِيفَةٍ عَبَّاسِيٍّ وضَعُوهُ فِي شُوالٍ، وظَلُّوا يَضرِبُونَهُ بِالأَرجُلِ حتَّى مَاتَ، كَانَ سَيِّدَ الدُّنيَا، فَصَارَ يُنخَسُ ويُضرَبُ بِالأَقدَامِ.

۞ قَالَ الرَّازِيُّ: أَقسَمَ سُبحَانَهُ بِتَغيِيرَاتٍ واقِعَةٍ فِي الأَفلَاكِ والعَنَاصِرِ، فَإِنَّ الشَّفَقَ حَالَةٌ مُخَالِفَةٌ لِمَا قَبلَهَا وهُو ضَوءُ النَّهَارِ، ولِمَا بَعدَهَا وهُو ظُلمَةُ اللَّيلِ، وكَذَا قَولُهُ: ﴿ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴾؛ فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى حُدُوثِ ظُلمَةٍ بَعدَ نُورٍ، وعَلَى تَغَيُّرِ أَحوالِ الحَيَوانَاتِ مِنَ اليَقظَةِ إِلَى النَّومِ، وكَذَا قَولُهُ: ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾؛ فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى حُصُولِ كَمَالِ القَمَرِ بَعدَ أَن كَانَ نَاقِصًا، إِنَّهُ تَعَالَى أَقسَمَ بِهَذِهِ الأَحوالِ المُتَغَيِّرَةِ عَلَى تَغَيُّرِ أَحوالِ الخَلقِ، وهَذَا يَدُلُّ قَطعًا عَلَى صِحَّةِ القَولِ بِالبَعثِ؛ لِأَنَّ القَادِرَ عَلَى تَغيِيرِ الأَجرَامِ العُلوِيَّةِ والسُّفلِيَّةِ مِن حَالٍ إِلَى حَالٍ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

وصِفَةٍ إِلَى صِفَةٍ بِحَسَبِ المَصَالِحِ، لَا بُدَّ وأَن يَكُونَ فِي نَفسِهِ قَادِرًا عَلَى جَمِيعِ المُمكِنَاتِ عَالِمًا بِجَمِيعِ المَعلُومَاتِ.

ومَن كَانَ كَذَلِكَ كَانَ لَا مُحَالَةَ قَادِرًا عَلَى البَعثِ والقِيَامَةِ، فَلَمَّا كَانَ مَا قَبلَ هَذِهِ الآيَةِ كَالدَّلَالَةِ العَقلِيَّةِ القَاطِعَةِ عَلَى صِحَّةِ البَعثِ والقِيَامَةِ لَا جَرَمَ قَالَ عَلَى سَبِيلِ الاستِبعَادِ: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[1].

﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الانشِقَاق: ٢٠]

بَعدَ كُلِّ هَذِهِ الآيَاتِ والقُدرَةِ العَجِيبَةِ مِنَ اللهِ ﷻ عَلَى تَغيِيرِ الأَشيَاءِ، وعَلَى خَلقِ المُتَنَاقِضَاتِ، لِمَ لَا يُؤمِنُونَ؟! أَيُّ شَيءٍ مَنَعَهُم مِنَ الإِيمَانِ؟! قَد قَامَتِ الأَدِلَّةُ عَلَى قُدرَةِ اللهِ ﷻ.

﴿فَمَا لَهُمْ﴾ يَعنِي: كُفَّارَ مَكَّةَ، ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بِمُحَمَّدٍ والقُرآنِ، وهُوَ استِفهَامُ إِنكَارٍ.[2]

أَي: أَيُّ شَيءٍ لَهُم مِنَ النَّعِيمِ والكَرَامَةِ إِذَا لَم يُؤمِنُوا؟!

ويَجُوزُ أَن يَكُونَ استِفهَامًا مَعنَاهُ التَّعَجُّبُ، أَي: اعجَبُوا مِنهُم، لَم يُؤمِنُوا بَعدَ البَيَانِ ووُضُوحِ البُرهَانِ.[3]

(١) «تَفسِير الرَّازِيِّ» (٣١/ ١٠٣).

(٢) «زَادُ المَسِير فِي عِلمِ التَّفسِير» (٤/ ٤٢٢).

(٣) «التَّفسِير البَسِيط» (٢٣/ ٣٧٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والأَقْرَبُ أَنَّ المُرَادَ: فَمَا لَهُم لَا يُؤمِنُونَ بِصِحَّةِ البَعثِ والقِيَامَةِ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى حَكَى عَنِ الكَافِرِ: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾، ثُمَّ أَخبَرَ سُبحَانَهُ بِأَنَّهُ يَحُورُ، فَلَمَّا قَالَ بَعدَ ذَلِكَ: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ دَلَّ عَلَى أَنَّ المُرَادَ: فَمَا لَهُم لَا يُؤمِنُونَ بِالبَعثِ والقِيَامَةِ.(١)

﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ [الانشِقَاق: ٢١]

استُدِلَّ بِهِ عَلَى مَشرُوعِيَّةِ سُجُودِ التِّلَاوةِ هُنَا.(٢)

۞ عَن أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: «سَجَدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ و﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾».(٣)

وقَولُهُ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ فِيهِ قَولَانِ:

* أَحَدُهُمَا: لَا يُصَلُّونَ. قَالَهُ عَطَاءٌ وابنُ السَّائِبِ.

* والثَّانِي: لَا يَخضَعُونَ لَهُ، ويَستَكِينُونَ. قَالَهُ ابنُ جَرِيرٍ، واختَارَهُ القَاضِي أَبُو يَعلَى، قَالَ: وقَدِ احتَجَّ بِهَا قَومٌ عَلَى وُجُوبِ سُجُودِ التِّلَاوةِ، ولَيسَ فِيهَا دَلَالَةٌ عَلَى ذَلِكَ، وإِنَّمَا المَعنَى: لَا يَخشَعُونَ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ أَضَافَ السُّجُودَ إِلَى جَمِيعِ القُرآنِ، والسُّجُودُ يَختَصُّ بِمَوَاضِعَ مِنهُ.(٤)

(١) «تَفسِير الرَّازِيِّ» (٣١/ ١٠٣).
(٢) «الإِكلِيل فِي استِنبَاطِ التَّنزِيل» (ص٢٨٥).
(٣) «صَحِيح مُسلِم» (٥٧٨).
(٤) «زَادُ المَسِير فِي عِلمِ التَّفسِير» (٤/ ٤٢٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

۞ قَالَ ابنُ تَيمِيَّةَ: القَولُ الأَولُ هُو الَّذِي يَذكُرُهُ كَثِيرٌ مِنَ المُفَسِّرِينَ، لَا يَذكُرُونَ غَيرَهُ؛ كَالثَّعلَبِيِّ والبَغَوِيِّ، وحَكَوهُ عَن مُقَاتِلٍ والكَلبِيِّ، وهُو المَنقُولُ عَن مُفَسِّرِي السَّلَفِ، وعَلَيهِ عَامَّةُ العُلَمَاءِ.

وأَمَّا القَولُ الثَّانِي: فَمَا عَلِمتُ أَحَدًا نَقَلَهُ عَن أَحَدٍ مِنَ السَّلَفِ، والَّذِينَ قَالُوهُ إِنَّمَا قَالُوهُ لَمَّا رَأَوا أَنَّهُ لَا يَجِبُ عَلَى كُلِّ مَن سَمِعَ شَيئًا مِنَ القُرآنِ أَن يَسجُدَ فَأَرَادُوا أَن يُفَسِّرُوا الآيَةَ بِمَعنًى يَجِبُ فِي كُلِّ حَالٍ، فَقَالُوا: يَخضَعُونَ ويَستَكِينُونَ. فَإِنَّ هَذَا يُؤمَرُ بِهِ كُلُّ مَن قُرِئَ عَلَيهِ القُرآنُ، ولَفظُ السُّجُودِ يُرَادُ بِهِ مُطلَقُ الخُضُوعِ والاستِكَانَةِ.(١)

وكَانَ عُمَرُ بنُ عَبدِ العَزِيزِ يَسجُدُ فِيهَا مَرَّةً، ومَرَّةً لَا يَسجُدُ، كَأَنَّهُ لَا يَرَاهَا مِن عَزَائِمِ القُرآنِ.(٢)

وبِهِ احتَجَّ أَبُو حَنِيفَةَ رضي الله عنه عَلَى وُجُوبِ السَّجدَةِ.(٣)

۞ قَالَ مَالِكٌ: إِنَّهَا لَيسَت مِن عَزَائِمِ السُّجُودِ، والصَّحِيحُ أَنَّهَا مِنهُ، وهِيَ رِوايَةُ المَدَنِيِّينَ عَنهُ، وقَدِ اعتَضَدَ فِيهَا القُرآنُ والسُّنَّةُ.

۞ قَالَ ابنُ العَرَبِيِّ: لَمَّا أَمَمتُ بِالنَّاسِ تَرَكتُ قِرَاءَتَهَا؛ لِأَنِّي إِن سَجَدتُ أَنكَرُوهُ، وإِن تَرَكتُهَا كَانَ تَقصِيرًا مِنِّي، فَاجتَنَبتُهَا إِلَّا إِذَا صَلَّيتُ وحدِي.

(١) «مجمُوع الفَتَاوى» (٢٣/ ١٥٢).

(٢) «أَحكَام القُرآنِ لِابنِ العَرَبِيِّ ط العِلمِيَّة» (٤/ ٣٧٠).

(٣) «تَفسِير الزَّمخَشَرِيِّ = الكَشَّاف عَن حَقَائِقِ غَوامِضِ التَّنزِيل» (٤/ ٧٢٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

وقَالَ: كَانَ شَيخُنَا أَبُو بَكرٍ الفِهرِيُّ يَرفَعُ يَدَيهِ عِندَ الرُّكُوعِ، وعِندَ رَفعِ الرَّأسِ مِنهُ، وهَذَا مَذهَبُ مَالِكٍ والشَّافِعِيِّ، وتَفعَلُهُ الشِّيعَةُ، فَحَضَرَ عِندِي يَومًا بِمُحرِسِ بنِ الشَّواءِ بِالثَّغرِ مَوضِع تَدرِيسِي عِندَ صَلَاةِ الظُّهرِ، ودَخَلَ المَسجِدَ مِنَ المُحرِسِ المَذكُورِ، فَتَقَدَّمَ إِلَى الصَّفِّ الأَولِ وأَنَا فِي مُؤَخَّرِهِ قَاعِدٌ عَلَى طَاقَاتِ البَحرِ، أَتَنَسَّمُ الرِّيحَ مِن شِدَّةِ الحَرِّ، ومَعَهُ فِي صَفٍّ واحِدٍ أَبُو ثُمنَةَ رَئِيسُ البَحرِ وقَائِدُهُ، مَعَ نَفَرٍ مِن أَصحَابِهِ يَنتَظِرُ الصَّلَاةَ، ويَتَطَلَّعُ عَلَى مَرَاكِبَ تَحتَ المِينَاءِ، فَلَمَّا رَفَعَ الشَّيخُ يَدَيهِ فِي الرُّكُوعِ وفِي رَفعِ الرَّأسِ مِنهُ، قَالَ أَبُو ثُمنَةَ وأَصحَابُهُ: أَلَا تَرَونَ إِلَى هَذَا المَشرِقِيِّ كَيفَ دَخَلَ مَسجِدَنَا؟ فَقُومُوا إِلَيهِ فَاقتُلُوهُ وارمُوا بِهِ فِي البَحرِ، فَلَا يَرَاكُم أَحَدٌ، فَطَارَ قَلبِي مِن بَينِ جَوانِحِي، وقُلتُ: سُبحَانَ اللهِ، هَذَا الطُّرطُوشِيُّ فَقِيهُ الوقتِ، فَقَالُوا لِي: ولِمَ يَرفَعُ يَدَيهِ؟ فَقُلتُ: كَذَلِكَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَفعَلُ، وهُوَ مَذهَبُ مَالِكٍ فِي رِوايَةِ أَهلِ المَدِينَةِ عَنهُ، وجَعَلتُ أُسَكِّنُهُم وأُسكِتُهُم، حَتَّى فَرَغَ مِن صَلَاتِهِ، وقُمتُ مَعَهُ إِلَى المَسكَنِ مِنَ المُحرِسِ، ورَأَى تَغَيُّرَ وجهِي، فَأَنكَرَهُ، وسَأَلَنِي فَأَعلَمتُهُ فَضَحِكَ، وقَالَ: ومِن أَينَ لِي أَن أُقتَلَ عَلَى سُنَّةٍ؟! فَقُلتُ لَهُ: ولَا يَحِلُّ لَكَ هَذَا؛ فَإِنَّكَ بَينَ قَومٍ إِن قُمتَ بِهَا قَامُوا عَلَيكَ، ورُبَّمَا ذَهَبَ دَمُكَ، فَقَالَ: دَع هَذَا الكَلَامَ وخُذ فِي غَيرِهِ.[1]

(١) «أَحكَام القُرآنِ لِابنِ العَرَبِيِّ ط العِلمِيَّة» (٤/ ٣٧٠).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ﴾ [الانشِقَاق: ٢٢]

الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ بِهَذِهِ القُدرَةِ، وسَبَبُ تكذِيبِهِم تَقلِيدُهُم لِأَسلَافِهِم، أَو عَدَاوتُهُم لِلرَّسُولِ ﷺ أَوِ الخَوفُ مِن ضَيَاعِ المَنَاصِبِ والمَكَاسِبِ الَّتِي كَانُوا يَحصُلُونَ عَلَيهَا.

﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ [الانشِقَاق: ٢٣]

۞ قَالَ الفَرَّاءُ: الإِيعَاءُ هُو مَا يَجمَعُونَ فِي صُدُورِهِم مِنَ التَّكذِيبِ والإِثمِ.(١)

وقَولُهُ جَلَّ ذِكرُهُ: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ فِيهِ ثَلَاثَةُ تَأوِيلَاتٍ:

* أَحَدُهَا: بِمَا يُسِرُّونَ فِي قُلُوبِهِم. قَالَهُ ابنُ عَبَّاسٍ.

* الثَّانِي: بِمَا يَكتُمُونَ مِن أَفعَالِهِم. قَالَهُ مُجَاهِدٌ.(٢)

* الثَّالِثُ: بِمَا يَجمَعُونَ مِن سَيِّئَاتِهِم، مَأخُوذٌ مِنَ الوِعَاءِ الَّذِي يُجمَعُ مَا فِيهِ، وهُو مَعنَى قَولِ ابنِ زَيدٍ.(٣)

(١) «مَعَانِي القُرآنِ لِلفَرَّاء» (٣/ ٢٥٢).

(٢) «تَفسِير الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٢٥٨).

(٣) «تَفسِير المَاوردِيِّ = النُّكَت والعُيُون» (٦/ ٢٣٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

۞ قَالَ ابنُ زَيدٍ فِي قَولِهِ: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾: المَرءُ يُوعِي مَتَاعَهُ ومَالَهُ، هَذَا فِي هَذَا، وهَذَا فِي هَذَا، هَكَذَا يَعرِفُ اللهُ مَا يُوعُونَ مِنَ الأَعمَالِ، والأَعمَالُ السَّيِّئَةُ مِمَّا تُوعِيهِ قُلُوبُهُم، ويَجتَمِعُ فِيهَا مِن هَذِهِ الأَعمَالِ الخَيرُ والشَّرُّ؛ فَالقُلُوبُ وِعَاءُ هَذِهِ الأَعمَالِ كُلِّهَا: الخَيرِ والشَّرِّ، يَعلَمُ مَا يُسِرُّونَ ومَا يُعلِنُونَ، ولَقَد وعَى لَكُم مَا لَا يَدرِي أَحَدٌ مَا هُو مِنَ القُرآنِ وغَيرِ ذَلِكَ، فَاتَّقُوا اللهَ وإِيَّاكُمُ أَن تُدخِلُوا عَلَى مَكَارِمِ هَذِهِ الأَعمَالِ بَعضَ هَذِهِ الخَبَثِ مَا يُفسِدُهَا[1].

﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الانشِقَاق: ٢٤]

وسُمِّيَتِ البِشَارَةُ بِشَارَةً؛ لِأَنَّهَا تُؤَثِّرُ فِي البَشَرَةِ سُرُورًا أَو غَمًّا.

﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ هَذَا استِهزَاءٌ بِهِم، واستِهزَاءٌ مِنهُم.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٍ﴾ [الانشِقَاق: ٢٥]

دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الاستِثنَاءَ قَد يَجُوزُ مِن غَيرِ جِنسِهِ؛ لِأَنَّ المُؤمِنَ غَيرُ الكَافِرِ، وقَدِ استُثنِيَ مِنهُ كَمَا تَرَى.[2]

(١) «تَفسِير الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٢٥٨) لعلها فيفسدها.

(٢) «النُّكَتُ الدَّالَّةُ عَلَى البَيَان فِي أَنوَاعِ العُلُومِ والأَحكَام» (٤/ ٤٩٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقَولُهُ جَلَّ ذِكرُهُ: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ فِيهِ أَربَعَةُ تَأوِيلَاتٍ:

* أَحَدُهَا: غَيرُ مَحسُوبٍ. قَالَهُ مُجَاهِدٌ.(١)

* الثَّانِي: غَيرُ مَنقُوصٍ. قَالَهُ ابنُ عَبَّاسٍ.(٢)

* الثَّالِثُ: غَيرُ مَقطُوعٍ.

* الرَّابِعُ: غَيرُ مُكَدَّرٍ بِالمَنِّ والأَذَى. وهُو مَعنَى قَولِ الحَسَنِ.(٣)

وهَذَا القَولُ الآخَرُ عَن بَعضِهِم قَد أَنكَرَهُ غَيرُ واحِدٍ؛ فَإِنَّ اللهَ ﷻ لَهُ المِنَّةُ عَلَى أَهلِ الجَنَّةِ فِي كُلِّ حَالٍ وآنٍ ولَحظَةٍ، وإِنَّمَا دَخَلُوهَا بِفَضلِهِ ورَحمَتِهِ لَا بِأَعمَالِهِم، فَلَهُ عَلَيهِمُ المِنَّةُ دَائِمًا سَرمَدًا، والحَمدُ للهِ وحدَهُ أَبَدًا؛ ولِهَذَا يُلهَمُونَ تَسبِيحَهُ وتَحمِيدَهُ كَمَا يُلهَمُونَ النَّفَسَ: ﴿وآخِرُ دَعواهُم أَنِ الحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [يُونُس: ١٠](٤).

(١) «تَفسِير الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٢٥٩).

(٢) «تَفسِير الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ٢٥٩).

(٣) «تَفسِير المَاوردِيِّ» = النُّكَت والعُيُون» (٦/ ٢٣٩).

(٤) «تَفسِير بنِ كَثِير ت سَلَامَة» (٨/ ٣٦٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب